محمد بن ناصر العبودي

مقال في بلاد البنغال

الطبعة الاولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه أوراق كتبتها في زيارة لمنطقة البنغال في شرق الهند وفي بنجلاديش.

وكنت في زيارة رسمية لجزر المالديف التي عدت منها إلى كولمبو عاصمة سيلان أو (سيرلنكا) كما صارت تسمى الآن، وقد كتبت كتابين عن رحلتي في مالديف وسيلان وكتبت هذا الكتيب عن رحلتي السريعة إلى بلاد البنغال.

وهي رحلة عاجلة لم نستغرق إلا أياماً معدودة ولذلك لم تكن الكتابة عنها شاملة موسعة ومع ذلك فقد وجدتني أسارع إلى مخاطبة القارئ الكريم وأنا أضعها بين يديه بأن الذي حملني على طباعتها هو أنها تتحدث في أكثر صفحاتها عن بلد مسلم شقيق هو (بنجلاديش) إضافة إلى المرور بالبنغال الغربي الهندي الذي عاصمته كلكتا.

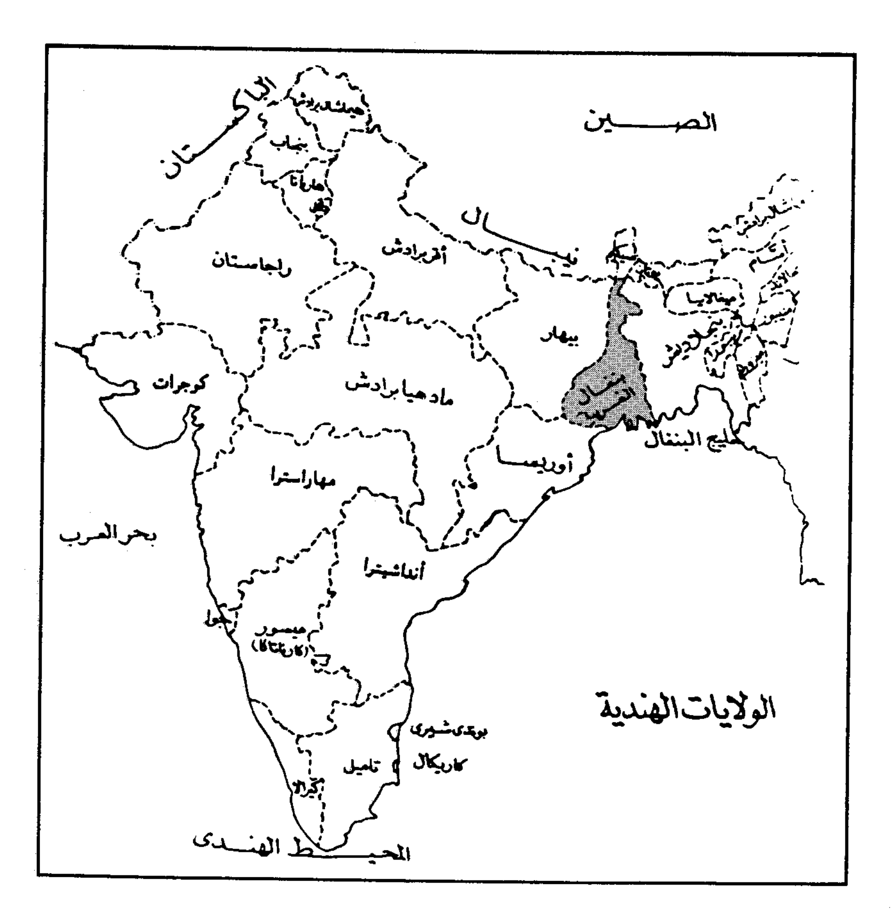
وقد تعودت من قراء العربية الكرام أن يتقبلوا ما أكتبه عن البلدان الإسلامية أو عن الجماعات المسلمة بالإقبال بل والتشجيع، لأن الحديث عن الإسلام والمسلمين أمر يهم الجميع.

أما ما عدا ذلك من الحديث عن رحلة في بلاد أو حديث عن أحوال بعض العباد، فإنه إذا لم يكن من القول المعاد مما تقبل عليه عامة الناس في المعتاد وعلى الله الإعتماد، نسأله تعالى أن يسلك بنا طريق الرشاد إنه كريم جواد.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي


مرور بالهند



موقع البنغال في الهند

يوم الأحد ١٠ محرم ١٣٩٩هـ الموافق ١٠ ديسمبر عام ١٩٧٨م

من كولمبو إلى مدراس :

كان حكومة مالديف قد أبرقت إلى السيد محمد حنيفة وزير النقل في سيلان بأن موعد وصولي إلى كولمبو سيكون في مساء السبت (أمس) وتطلب منه أن يحجز لي على الطائرة إلى مدراس، كان ذلك منذ ٣ أيام أثناء زيارتي إلى مالديف.

وقد أمر السيد الوزير بالحجز لي إلى مدراس غير أنه لم يكن قد بقي كرسي خالٍ في الطائرة، ومع ذلك وعد المسئولون في الشركة أن يبذلوا جهدهم في تسهيل الحصول على مقعد لي في الطائرة ولذلك خرجنا من الفندق إلى المطار وكان الطريق يستغرق ثلاثة أرباع الساعة بالنظر إلى سرعة سائق السيارة، والاقَّان المتعارف عليه أن السرعة المعتادة من المطار إلى البلد هي ساعة كاملة.

وصلنا المطار في الساعة الرابعة والنصف عصراً وقد بقي على موعد قيام الطائرة ساعة ونصف وقد بذل الأخ المرافق (جمشيد عبدالجبار) جهداً كبيراً حتى أمكنه أن يحصل على مقعد وبينما كنت في القاعة التي تسمى (صالون الشرف) في المطار حضر إليَّ ومعه المسؤل عن شؤون إدارة المطار وقد جاء معه ليسلم ويتعرف على هذا الشخص الذي ربما كان الأخ جمشيد قد بالغ في رفع مقامه حتى يحصل على مساعدته في الحصول على مقعد في الطائرة.

وقدمه الأخ جمشيد قائلاً : إنه فلان مدير المطار وانه ساعدنا في الحصول لك على مقعد في الطائرة فاستحق الشكر من الجميع، فشكرته على ذلك.

وقد تأخر قيام الطائرة إلى الساعة السابعة إلا ربعاً، وقبل قيامها بربع ساعة جاء أحد مسؤولي الشركة الهندية التي تتبعها الشركة وصحبني من قاعة كبار الزوار في المطار إلى أن اركبني في المقعد الأمامي من الطائرة قبل أن يأذن للآخرين بالخروج من قاعة المسافرين والصعود إلى الطائرة.

ومن المصادفات أنني بالأمس عندما كنت قادماً من مالديف إلى كولمبو، كانت مضيفة أرضية (مالديفية) قد كلفها المسؤولون في الحكومة المالديفية العناية بي فصحبتني إلى أن أجلستني في الكرسي الأمامي نفسه الذي أجلسني عليه اليوم

مندوب الشركة الهندية وذلك قبل أن تأذن للركاب الآخرين بالخروج من قاعة المسافرين والصعود إلى الطائرة.

ومن المصادفات أيضاً أن الطائرة هي الطائرة نفسها وطاقم المضيفات هو الذي كان فيها بالأمس لم يتغير، وأن المسافة بين مالديف وكولمبو كانت ساعة واحدة وهي هي اليوم من (كولمبو) إلى (مدراس) ساعة واحدة.

أقلعت الطائرة الهندية في الساعة السابعة إلا ربعاً مساءً وهي مزدحمة بالمسافرين وكان الطعام الذي قدموه اليوم أقل مقداراً ونوعاً من الطعام الذي قدموه بالأمس رغم ضآلة ماقدموه أمس ولكن البخل غير مستنكر من هذه الشركة الهندية.

وكان الطيران كله ليلاً فلم استطع رؤية شيء مما حولي، ولم يكن نظري يستقر على أولئك المضيفات الهنديات اللاتي ليس في خدمتهن ما يستوجب النظر.

في مطار مدراس :

وصلنا مطار مدراس بعد ساعة كاملة، والتوقيت المحلي لمدينة مدراس هو نفسه توقيت كولمبو لأنهما على خط طولي واحد.

وكان الجو حاراً رطباً فيه.

وعندما وصلنا إلى قاعة القادمين في المطار وجدناها غير واسعة والناس يزدحمون فيها مما جعلها تضيق بهم وزاد الأمر سوءاً أن الموظفين المسئولين عن أوراق الصحة وعن الجوازات كانوا يبطئون في إنجاز الختم على الجوازات حتى ضج الناس وملوا الانتظار في هذا الجو الحار الرطب ووسط جمهور لايكاد يتزحزح عن مكانه.

وبعد لأي وطول انتظار ونفاد صبر وصلني الدور وإذا بالسبب الذي جعل الناس يتأخرون في الإنجاز أن الموظف يقوم بتعبئة البطاقات التي كان قد ملأها الركاب في الوجه الآخر على غير الطريقة التي جاءت في إفاداتهم التي كتبوها ووقعوا عليها وإنما يأخذ بسؤالهم والاستفسار منهم عن بعض الأشياء وهو يتردد في الإقدام على الكتابة والختم ولا أدري لماذا كان ذلك وسألني لماذا لم يذكر تاريخ

الميلاد في جوازك؟ فقلت له: لأن جواز سفري سياسي لايذكر فيه إلا الاسم. وكأنه لم يمر عليه جواز سفر سياسي أو جواز سفر خاص قبل ذلك.

وعندما أخذت حقيبتي من مكانها في المطار واتجهت إلى المنصات التي عليها التفتيش بادرني ضابط وأوقفني قائلاً: انتظر فقلت له: لماذا؟ فقال: لكي ينتهي الذي قبلك، فقلت له: إنني لم أتقدم من هم قبلي وإذا به قبل أن يسمع كلامي يذهب ويتخاصم معهم ويوقفهم حتى يصدر أمره بعد ذلك إليهم بأن يتقدموا وقد فعل فقد انتظرت حتى أصدر أمره ورأيتهم يعذبون الركاب ويشددون عليهم بالتفتيش حتى إنهم يفحصون داخل غلاف الحقيبة ويتحسسون ما في غطائها وأسفلها بعد أن يجردوها مما يمنعهم من ذلك فكرهت ذلك لا لكوني أحمل شيئًا من الممنوعات فليس لدي ما أخاف عليه وإنما لكوني لا أحب فتح الحقائب وإغلاقها في هذا المكان المزدحم، وقد بادر موظف مسؤول عند ضابط التفتيش يحاول أن يحل حزام الحقيبة وُثوقًا منه بأن جميع القادمين يخضعون للتفتيش الصعب فقلته له: انتظر حتى يأمرك الضابط بذلك.

ثم قلت للضابط : إن جوازي سياسي فهل ذلك يعفيني من فتح الحقائب؟ فنظر إليه ثم قال: نعم ورسم إشارة المرور عليها، ولما أردت الانصراف قال لي: قف دقائق من فضلك، فوقفت ولا أدري السبب في ذلك إلا أن موظفًا عاد من مكتب آخر ومعه بطاقة صغيرة صفراء أعطاني إياها وقال: تفضل.

وتبين لي بعد ذلك أن كل المسافرين لايستطيعون أن يخرجوا حقائبهم من المطار إلا إذا أبرزوا مثل تلك البطاقة ولو كان على حقائبهم إشارة ضابط الجمرك بأنها قد مرت عليه.

ومن ضابط الجمرك انتقلت إلى موظف البنك الهندي لصرف بعض النقود فإذا به أكثر إبطاءً في إنجاز العمل من ضابط الجوازات وإذا به يتردد في ذلك ويدخل ويخرج ويدع الناس ينتظرون كل ذلك لكي يطمئن إلى أنه لم يغلط وليتأكد من كل شيء يفعله.

وعندما يعطي النقود للناس يعدها بيده قطعة قطعة وبصوت مرتفع حتى النقود الصغيرة التي مجموعها دون الروبية يعدها بيده عدًا ونقدًا، وذلك إلى بطئه هو

نفسه يستغرق وقتًا طويلاً لايريد مثلي أن يذهب سدى لأنني محتاج إلى الراحة وإلى الوصول إلى الفندق قبل مضي قدر كبير من الليل.

وعندما أردت الخروج من الباب الرئيسي في مبنى المطار وجدته مغلقًا وتطوع بعض الأوروبيين وهم يضحكون في هدايتي إلى طريق آخر متعرج يمر بشخص يتأكد من كون الحقائب قد مرت على ضابط التفتيش.

وعند الباب الخارجي أمسك بامتعتي حمَّال ضعيف البنية شديد السمرة وأهل مدراس ذوو سمرة شديدة وأجسام يظهر عليها عدم كمال التغذية وبخاصة إذ قورنوا بأهل البلدين الذين زرتهما في هذه الرحلة وهما مالديف وسيلان وقال الحمّال: أتريد سيارة أجرة؟ فقلت : لا إنما أريد حافلة، وكان بعض اخواني قد حذروني من أن سائقي سيارات الأجرة يستغلون الناس في الليل فتقدمني الحمال بين ممرات البناية إلى أن ظهر على مخرج آخر وإذا به مكان وصول المسافرين على الرحلات الداخلية ووضع حقيبتي في حافلة فسألني سائقها: إلى أين تذهب؟ فقلت إلى فندق (تاج محل) في مدراس، فهل أنتم تذهبون إليه؟ قال: نعم، قلت، متى تتحركون؟ فأجاب : بعد خمس دقائق وبعد خمس دقائق جاء إليّ وقال: إننا سنتأخر في انتظار وصول رحلة داخلية لاحدى الطائرات تأخرت عن موعدها.

فذهبت إلى إحدى سيارات الأجرة وبادرني سائقها قائلاً: تفضل: قلت إلى فندق تاج محل فكم تأخذ؟ قال خمس وعشرون روبية، قلت : لابأس بشرط أن تذهب وتحضر حقائبي من الحافلة.

فأحضرها وركبت معه وليتني لم أركب فقد كان يسعل طول الطريق بشدة وبطريقة مؤلمة لنفس مَنْ يسمعه وكان الطريق الذي يبلغ طوله من المطار إلى الفندق عشرين كيلو مترًا يعج بالحافلات التي تنفث دخان الديزل المؤذي إلا أنني اضطررت أن افتح نافذة السيارة وأن اخرج رأسي من السيارة ما استطعت فرارًا من الهواء داخل السيارة الذي لوثه السائق بسعاله ونفاثه.

في مدينة مدراس :

هذه هي الزيارة الثانية لمدينة مدراس وهي تأتي بعد أيام من الحركة المتواصلة في مالديف وسيلان لذلك عزمت أن أمنح نفسي اجازة صباح غد ولو كان ذلك لنصف يوم قبل انتهاء اليوم الذي حددته للبقاء في مدراس قبل السفر إلى كلكتا.

ولما كنت لست على يقين من أن اجد غرفة خالية في الفندق لأنه ليس لدى حجز مسبق فيه، ولست على ثقة من سائق سيارة الأجرة لكي أدعَ حقائبي معه وأدخل فربما فر بها من السيارة وإن كان ذلك بعيداً ولكن الحذر والتوقي واجب فقد طلبت منه أن يدخل معي إلى إدارة الفندق كما هي عادتي في أكثر البلدان في الحالات المشابهة إذا كنت وحدي ولم يكن معي من يرافقني ويبقى عند الامتعة في السيارة ولكن السائق قال: إنني لا استطيع أن افعل ذلك فقلت له: لابد منه فأقبل معي ولكن بواب الفندق منعه من الدخول فقلت له: إن حقائبي معه، فقال البواب أنا أنزلها وأحفظها.

ونزلت في الفندق في غرفة تقرب من أن تكون من غرف فنادق الدرجة الأولى غير أن كل مافيها هو من منسوجات الهند ولكن بعضها يصعب علينا استساغته من ناحية الذوق مثل الكراسي الخشبية التي يصعب تحريكها وزحزحتها، ومصابيح الاضاءة المغلفة بأغلفة كبيرة جدا من الزجاج والحبال وهي مدلاة في السقف تضرب رأس الذي لايفطن لها. إضافة إلى أن الغرفة تحتاج إلى ترميم.

وأجرة الليلة الواحدة مائتا روبية أي اثنان وثمانون ريالاً سعودياً.

يوم الاثنين ١١ محرم ١٣٩٩هـ ١١ديسمبر عام ١٩٧٨م :

محاولة الحجز :

كان أهم ما شغلني هذا الصباح هو الحجز إلى مدينة كلكتا من مدراس فسألت في هذا الفندق الذي يفترض أن يكون فيه مكتب للسياحة والسفر عن الحجز فقال المكتب الوحيد فيه لهذا الأمر واسمه (توماس كوك) : إنه لايمكن أن يحجز لك أحد إلا إذا ذهبت إلى مكتب شركة الطيران الهندية في مدراس على بعد ميلين اثنين من الفندق.

وركبت سيارة أجرة من الفندق فكانت تسير وتقف فعلت ذلك عدة مرات قبل أن تصل إلى مكتب الشركة واعتذر السائق وقال بخجل: إن هناك بعض الشيء في جهاز إحراق البنزين قال ذلك لأنها كانت تنبعث منها سحب من الدخان في كل مرة، ولما وصلت قال: إنني سوف انتظرك حتى اعود بك إلى الفندق، فقلت له أخشى أن تتأخر عودتي إذ قد يبطئون في انجاز امري فقال: ولو تأخرت،

واردت إن أنقده أجره وأدعه ولكنه أبى وقال: إنني سوف انتظرك ويكفيني للذهاب والإياب والانتظار خمس عشرة روبية أي سبعة ريالات تقريباً، فقلت: لا بأس. هذا مع العلم بأن لتر البنزين هنا يباع بثلاث روبيات ونصف فهو مرتفع ارتفاعاً قلّ أن يوجد له نظير في البلاد المجاورة.

ودخلت مكتب شركة الطيران الهندية فرأيت الزحام على أشده على المكاتب بل لايمكن الوصول إلى الموظفين ورأيت جماعة من الأوروبيين جاؤا للمراجعة، وقد اكفهرت وجوههم، وظهرت عليها أمارات التعب إذ كيف يستطيع المرء الذي يريد أن ينهى عمله بهدؤ في وسط هذا الزحام الصاخب الذي لاتسمع فيه إلا اصواتاً مرتفعة متلاصقة الكلمات لاتستطيع لسرعتها أن تميز ما إذا كان صاحبها راضياً أو غاضباً ومن المشكل أنهم يلفظون الانكليزية كما يلفظون لغتهم فيسرعون اسراعاً شديداً، ويخرجون الحروف من غير مخارجها فيجد المستمع لهم عناء من تتبع مايقولونه.

فهم في هذا الأمر يصح أن يقال: إن الغالب على حركاتهم واعمالهم الإبطاء ماعدا شيئاً واحداً هو الكلام فهم يسرعون به إسراعاً، ويهذونه هذا، وقل أن تجد منهم من يتبسم وبخاصة في وقت العمل فهم جميعاً عابسون، وإذا أراد المراجع أن يستفهم منهم غضبوا على عادة بعض البلاد الشرقية الاوسطية ولما لم أجد وسيلة للوصول إلى أحد من الموظفين إضافة إلى أنه ليس على مكاتبهم لافتات تبين اعمالهم اضطررت إلى أن اقصد مكتباً خفيف الزحام كتب عليه دون غيره مكتب نائب المدير فذهبت ورجوته أن ينظر في أمري لأنني مضطر إلى السفر إلى كلكتا الليلة ولم اعرف كيف أصل إلى أحد من الموظفين بسبب الزحام، فأخذ التذكرة وسأل من أحد الهواتف الموضوعة على مكتبه ولكن الذي كان يكلمه قطع الكلام معه اربع مرات فكان يضطر ويقول باللغة التاميلية مامعناه: لماذا انقطع الكلام ثم يعود إلى تكرار إدارة القرص مرة أخرى، وفي المرة الرابعة قال: إنهم يقولون: إنه ليس هناك إلا الانتظار وقد اعطيناهم اسمك وعليك أن تراجع هذا المكتب في الثالثة بعد الظهر وان موعد قيام الطائرة هو الثامنة مساء.

وعندما عدت إلى سائق سيارة الأجرة لم أره تضجر ولا تبرم وإنما اسرع يفتح لي باب السيارة وينحني قائلاً: تفضل وعندما سارت السيارة قال: أرجو أن لايوصلك إلى المطار غيري، إنني سوف آتى في الموعد الذي تحدده فقلت : إنني لا اعرف الموعد حتى الآن، فقال: سوف انتظرك عند باب الفندق في الوقت كله.

ووصلت فنقدته الروبيات الخمس عشرة وتوقعت أن يطلب زيادة عليها ولكنه لم يفعل وإنما انحنى وهو يتقبلها شاكرًا.

ويلاحظ المرء أن سائقي سيارات الأجرة في هذه البلاد والعاملين الآخرين على وجه العموم يتمتعون باخلاق عالية، ومعاملة حسنة للراكب والمتعامل معهم رغم ماتوحي به مظاهرهم وهندامهم ورغم انخفاض معيشتهم، ولا أدري أذلك بسبب خوف من الحكومة أم أن ذلك لأمر فيهم واظن أن الأخير هو الصحيح حتى في قيادتهم للسيارات يفسح بعضهم لبعض الطريق، وإذا خالف احدهم لم يجاهر الآخر بسبه أو يكاد ينفجر من الغضب لذلك كما يفعل كثير من السائقين في بلادنا العربية.

ومن خلال الذهاب والإياب إلى مكتب الشركة تذكرت المرور في الهند وما يسببه ذلك من مضايقات اهمها صوت ابواق السيارات المزعج والدخان الكثيف المحترق الذي ينبعث من محركاتها وقدم حالتها الذي يجعلها تتمايل وتتأرجح عند أي نتوء تقابله من أرض الطريق إضافة إلى عدم العناية أو عدم القدرة على مواصلة إصلاحها وترميمها.

وراجعت أهل الفندق عن موعد مغادرته وكان مكتوبًا في الأوراق أنه الساعة الثانية عشرة ظهرًا إلا أن موعد مكتب الخطوط الهندية هو الثالثة وموعد قيام الطائرة هو الثامنة أيمكن لي أن ابقى إلى الثالثة؟

فأجابت فتاة رقيقة: أن نعم، على أن تدفع حساب الليلة الماضية الآن.

ودفعت الحساب واقمت في مقصف بالطابق الأرضي مجاور لشركة للسياحة خالية من السائحين والسائحات وذلك لأن عدد الأوروبيين في الفندق قليل، ولأن المطر كان يهطل وكان المقصف يكاد يكون خاليًا فكانت فرصة للحصول على بعض الراحة.

العودة إلى المطار :

وفي الساعة الثالثة كان خادم الفندق المطيع يحمل امتعتي ويضعها في سيارة أجرة اتفقت مع صاحبها على أن يمر بي أولاً على مكتب الشركة الهندية للطيران وأن يظل معي حتى افرغ منه ثم يذهب بي إلى مطار مدراس كل ذلك بثلاثين روبية لاتزيد، مع أن المسافة بين مدينة مدراس ومطارها تبلغ عشرين كيلو متراً.

وقال الموظف: إن الحجز غير مؤكد وإن ترتيبك في لائحة الانتظار هو الثالث عشر ومع أن هذا الرقم يتشاءم به بعض الناس فقد واصلت السير إلى المطار وقلت في نفسي سأحاول السفر فإن تيسر وإلا نمت في فندق قريب من المطار أو غيرت تذكرتي إلى اتجاه آخر لأنه لاطيران إلى كلكتا إلاَّ مرة واحدة في مساء كل يوم.

وهكذا قصدت مقهاة المطار ومعي امتعتي فسألني موظف فيها قائلاً: إذًا أنت مسافر إلى كلكتا؟ فقلت نعم، وكان الحمَّال الذي حمل امتعتي من سيارة الأجرة إلى مقهاة المطار قد امتنَّ من كوني اعطيته لقاء ذلك خمس روبيات فقال لي: إذا فتح مكتب الترحيل ابوابه فإنني سوف آتى إليك واحمل امتعتك إليه.

وهكذا بقيت في المقهاة أكثر من ثلاث ساعات، وكانت في أكثر الاحيان تقفر من الزوار إلاَّ أن هذه الساعات الثلاث لم تضع مني سدى فقد جعلت اقرأ تارة وأسوِّد اوراقي في بعض ما تقرأه الآن تارة أخرى.

وحينما فتح مكتب خطوط شركة الطيران الهندية أبوابه لتجهيز الرحلة إلى كلكتا في الساعة السابعة والربع جاء الحمال الوفي فأخذ امتعتي وأوصلها إلى المكتب ووقفت في طابور الواقفين حتى وصلني الدور فقال الموظف: إنه ليس لك حجز مؤكد، إنتظر، وإذا كانت هناك فرصة سوف ادعوك.

ووقفت حتى انتهى أمر الركاب الحاجزين وإذا به يبدأ بأخذ الركاب غير الحاجزين وجعل يأخذ ويأخذ حتى خفت أن تضيع الفرصة فتقدمت منه وبسطت له تذكرتي وكان فرحي غامرًا حين اعطاني بطاقة الدخول لأن ذلك سوف ينجيني من ضياع يوم على الأقل أنا في أشد الحاجة إليه، وإذا بالحمَّال الوفي لايزال واقفًا رغم طول الوقت يضع حقيبتي في الميزان ثم يذهب ليدلني على قاعة الانتظار الخارجية فأعطيته من الحلوان (البقشيش) ما أرضاه.

ولبثنا فترة أعلن مكبر الصوت في المطار أن رحلتنا سوف تتأخر وبالفعل تأخرت عن موعدها الأصلي بساعة ونصف ساعة ولكن ذلك بالنسبة إليّ لم يكن مشكلة مادمت قد حصلت على مقعد في الطائرة.

من مدراس إلى كلكتا :

أعلن مكبر الصوت أن على المسافرين إلى كلكتا الخروج من بوابة المطار فنهض القوم متثاقلين، وبدأوا بالخروج متأنين غير مستعجلين وكان الذي ينقلهم حافلة واحدة ليست كبيرة ومن طراز قديم فامتلأت بسرعة مع أن الركاب هم لطائرة بوينج ٧٣٧ ذات المحركين فاغلقت بابها وانطلقت إلى الطائرة ثم جاءت مرة ثانية وكنت مع الراكبين فيها، وامتلأت فذهبت وعادت ببقية الركاب.

وعند النزول من الحافلة والصعود إلى الطائرة لم أر القوم يتزاحمون فأكبرت ذلك فيهم وذكرت كيف يصنع الناس عندنا وبخاصة الشبان منهم الذين يتزاحمون على باب الخروج للطائرة ثم في الحافلة ثم في الصعود إلى الطائرة، ولكني عرفت السر بعد ذلك وهو أن المقاعد كلها مرقمة والبطاقات كلها ذات أرقام، إذاً لن يجلس أحد مكان الآخر.

ومع ذلك فإنني رأيت عندهم هدوًا في الركوب وأدباً للغير عند المرور والنزول قل أن يوجد له نظير في البلاد العربية، وقد امتلأت مقاعد الطائرة كلها دون استثناء بالركاب، وهي ليست مثلها في بلادنا إذْ هي في بلاد الهند قد رُصَّتْ فيها المقاعد وحشيت بها حشوا حتى لايكاد الرجل الذي يكون في المقعدأن يمد رجليه، بل ذلك هو الواقع بالفعل.

ولم تكن في الطائرات الهندية التي ركبتها منذ أيام وربما تكون طائرة واحدةرغم أن الرحلات كانت متعددة لأن خط السير واحد لم تكن فيها درجة أولى بل كلها درجة سياحية، وكان مكاني في مؤخرة الطائرة ولكن في كرسي جانبي أي في الجانب الذي يلي الممر وهو مكان مفضل لأنه يمكن لصاحبه أن يجد شيئاً من الفراغ في الممر إذا خلا من المارة وما شعرت إلا بالمضيفة تأتي إليّ ومعها رجلان قالت: إنهما صديقان ومع كل منهما حقيبة يدوية كبيرة وأشياء أخرى وقالت بابتسام ولطف: أتريد أن تكون في هذا المكان، تشير إلى مكان خالٍ في

المقعد المتوسط الضيق حتى يكونا معا؟ فقلت : لا ، إنني لا أحب الكرسي المتوسط لأنني أريد أن أجد فراغًا حتى استطيع الكتابة.

وفي الساعة التاسعة والنصف كانت الطائرة تهم بالصعود وأنا مشفق من ألا تستطيع ذلك لأن حملها كبير إذ يكاد يكون بل ذلك هو الواقع أن جميع الفراغ بداخلها مشغول بالركاب ماعدا الممر إلى جانب امتعتهم الكثيرة ولكنها تحركت بالفعل وفارقت الأرض بعد أن علا صوت محركاتها بالزمجرة والهدير الذي نسمعه من داخلها.

وقبل أن تستوي في الجو أطفأ القائد إشارة ربط الحزام.

وكانت المذيعة قد اعلنت أن الرحلة من مدراس إلى كلكتا ستستغرق ساعة وخمسا وخمسين دقيقة.

هل أنا نباتي؟

حان موعد توزيع الطعام وإذا بالمضيفة تأتي بطعام بين يديها في صحاف من اللدائن الصغيرة وهي تخاطب الركاب بسرعة بكلمة ظهر لي كأنها واحدة فيجيبونها بنعم أو لا ، ومن اجاب بنعم اعطته مما معها وسألت جاري عما تقول فأجاب : إنها تقول فجيتريان؟

أي: هل أنت نباتي؟ ولما جاءت وقالت لي ذلك ، قلت لها: لا ، بل أنا من أكلة لحوم... وأردت أن أقول البقر ، لا البشر بطبيعة الحال ولكني ذكرت انني في البلاد التي تعبد البقر فقلت: لاداعي للخصومة وسكت وكان جاراى من جهة اليمين نباتيين اي لا يأكلان اللحم أما جاراي من الشمال وهما رجل وامرآة شابة تشبه أن تكون زوجته فليسا كذلك واظن أنهما مسلمان لأن المرأة لاتبرز بطنها وظهرها كما تفعل الهنديات ، وإن كانت قد ارتدت الساري الهندي مثلهن ، إلا أنني لحظت أنها تلبس تحته شيئًا ساترًا.

وذلك الطعام الذي جرت الخصومة حوله لورآه الواحد منا في بلادنا لاصابه الجوع إذ هو خبيزة صغيرة قد شقت نصفين ووضع بداخلها شئ قليل جدًا من اللحم المطحون كأنما هو تحلة القسم فقط ، ثم قطعة واحدة من السنبوسك ، ومقدار

من السلطة الخضراء التي عمادها الخس ولكنهم وضعوا فيه شيئًا حلوًا كالسكر، ولك ان تتصور سلطة قد حليت بالسكر.

هذا هو الطعام، وبعد ذلك جاء الماء وهو هنا مهم وليس كما هو عليه الحال في البلاد الأوروبية وذلك لحرارة الجو وشدة الحاجة إلى الماء فعلى سبيل المثال كما رأيت في قاعة القادمين في مطار مدراس عندما وصلت امس لافتة تقول هنا يوجد الماء البارد للشرب وتشير إلى ممر جانبي. وبعد الماء: القهوة والشاي.

ولم أر الركاب يشترون أنواعًا أخرى من الشراب في الطائرة كما يكون في الرحلات المماثلة في الخارج ولم أر المضيفات يبعن ذلك.

أما المضيفات انفسهن فإنهن من الهنديات ولكنهن كلهن هذه المرة من الشمال يظهر ذلك من سحنهن ومن بياض بشرتهن إلا أن اشكالهن غريبة حقا فهن بين الجنس المغولي والجنس الهندي والظاهر أنهن من سكان جبال الهملايا، أو ما قرب من تلك الجهة، وخدمتهن جيدة، وهن يجاملن الركاب ويصبرن على تلبية حاجاتهم الكثيرة من الماء والوسائد والاستفسارات.

في مطار كلكتا :

وصلنا في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين قبل منتصف الليل، ولم يكن في نظر القادم إليه لائقًا بأكبر مدينة هندية إذْ كانت غرفة القدوم فيه صغيرة تحتاج اصول الجدران فيها إلى ترميم. وكان الجو حينما نزلنا من الطائرة جيدًا إذ هو ليس رطبًا مثل مدراس ولا حارًا رطبًا مثل كولمبو.

جاءت حقائب المسافرين فبادر أحد الحمالين الشبان إلى أخذ حقيبتي وقال لي: إلى اين؟ فقلت إلى فندق المطار.

وذلك لأنني كنت قد سألت بعض الأوروبيين الذين كانوا معنا ونحن نتهيأ للسفر في قاعة المسافرين في مطار مدراس عن الفندق المناسب في كلكتا؟ فأجابوا: إنهم سيقضون الليلة في المطار لأن أجرة الفنادق في كلكتا غالية جدًا ولا يستطيعون أن يدخلوا البلد في هذه الساعة المتأخرة ثم سألت أحد المواطنين من الهنود كان جالسًا بجانبي فقال: لايحسن الدخول إلى المدينة في الليل لأن المرء لا يأمن في ذلك

الوقت، وإنما الأفضل لك أن تقضي الليلة في فندق المطار وهو ليس بعيداً عنه ثم تدخل البلد في الصباح.

وخرج الحمَّال بالأمتعة واخذ يبحث عن سيارة الفندق وكان أحد الأشخاص واظنه هندياً ثريا قد انضم إليَّ ووقف ينتظر سيارة الفندق، فقلت له: لنأخذ سيارة أجرة فقال: هذا جيد ولكن اين سيارة الأجرة؟ إنها لاتوجد الآن لأن الساعة تقارب الثانية عشرة اي منتصف الليل.

ومن عجب أن ذلك صحيح فليس عند مدخل المطار أية سيارة إلا واحدة أو اثنتان ربما كانت لأحد الأشخاص المستقبلين، كما أن المطار نفسه ليس فيه حركة كبيرة ولم اشاهد اي استعداد لاستقبال طائرة جديدة وإنما فيه عدد كبير من الجالسين المنتظرين وبعضهم يداعب النوم جفنيه ربما كانوا كلهم أو أكثرهم مثل اولئك الأوروبيين يريدون أن يقضوا الليلة في غرفة الانتظار بالمطار، علماً بأن هذا المطار هو لأكبر مدينة هندية ونحن عندنا في البلدان العربية يجد المرء السيارات والناس في مطارات المدن الكبيرة طول الليل والنهار.

وبعد انتظار طويل ممل كان الحمَّال المسكين يركض هنا وهناك يبحث عن سيارة أجرة أو سيارة للفندق فلا يجد وكان الهندي الآخر يقول لي: انظر إلى حقيبتي مع امتعتك، ويذهب يبحث عن سيارة فلا يجد ولما سألته عن السبب؟ قال: إن سائقي سيارات الأجرة لايجدون في العادة من يحبون الدخول إلى مدينة كلكتا في الليل. ولذلك لايوجدون هنا.

وبعد لأي وانتظار جاءت السيارة وهى حافلة تابعة لفندق المطار مكتوب عليها اسمه، فركبنا ونحن لانكاد نصدق ولكنها ظلت فترة أخرى واقفة فلم ننزعج لذلك لأننا راكبون.

هذا وقد وقفت الحركة تماماً حول المطار وهدأت ساحاته وأخيراً تحركت الحافلة ووصلنا الفندق وكان واسع البهو، عليه أمارات العناية وبأنه من فنادق الدرجة الأولى، وكتبت في البيان الذي يطلب فيه من النزيل أن يوضح ساعة الوصول إلى الفندق أنها الثانية عشرة والنصف من بعد منتصف الليل، وكانت الأجرة (١٨٠) روبية وهو مبلغ ليس كثيراً بل هو قليل بالنسبة إلى مستوى الفندق، إذْ لايزيد ذلك على (٧١) ريالاً سعودياً.

يوم الثلاثاء ١٢ محرم ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٨/١٢/١٢م

مدينة كلكتا :

هي أكبر مدينة في الهند ذات المدن الكبيرة العملاقة في عدد السكان وان لم تكن عملاقة في غير ذلك مع ان بعض الناس يعدها أكبر مدينة في العالم كله ومن لايعدها كذلك فإنه يضمها إلى المدن الكبرى في العالم مع طوكيو وشنغهاي في الصين، ومكسيكو في المكسيك، وسان باولو في البرازيل، ويبلغ عدد سكان كلكتا اثنى عشر مليونا.

مع أن كلكتا مشهورة بأنها أكثر المدن الكبرى في الهند تأخراً من حيث النظافة والتخلف في المرافق العامة تليها في عدد السكان مدينة بومبي، ولكنها أنظف منها، واغنى وأكثر حركة وتجارة، وتحفل بالمرافق العامة للسكان وشوارعها منسقة أكثر من شوارع كلكتا بكثير.

ونحن ندخلها الآن في اعقاب أمطار غزيرة أصابت منطقة البنغال الغربي الذي تكون كلكتا عاصمته، فأحدثت فيضانا ضاراً بها.

عندما ماكنت أدفع الحساب لموظف في فندق المطار سألته عن الفندق الممتاز في كلكتا وقد قلت الممتاز لأن كلكتا عقب الفيضان قد تلوثت فيها مياه الشرب واختلطت بمياه المجاري كما سمعناه من الإذاعات، لذلك لابد من السكنى في مكان ممتاز يعتني اهله بنظافته ونظافة مايقدم فيه.

فأجاب: أنه فندق أوبروي قراند، أي الكبير، قلت: وسيارة الأجرة من هنا؟ قال خمس وعشرون روبية فقلت: وما مقدار بعده؟ قال: خمس واربعون دقيقة. وأشرت إلى صاحب سيارة أجرة مرت، فإذا به يأتي وهو سيخي والسيخ أصلهم من بلاد البنجاب في شمالي الهند لذلك كانت أجسامهم قوية ومناظرهم مألوفة بالنسبة الينا نحن سكان البلدان العربية فأعطيته العنوان وطلبت منه أن يحدد الأجرة فقال: خمس وعشرون.

وركبت معه وأنا اطمع في ان يكون فصيحا بالانكليزية كما عودنا على ذلك أهل مدراس الذين لغتهم الاصلية هي التاميلية ولكنني لم اسمع مكبر الصوت في

المطار فيها ينطق بكلمة واحدة منها بل كل ما كان يصدر عنه كان بالانكليزية، وذلك لأن جمهور المسافرين هم من الأجانب الذين لايعرفون التاميلية أو من أهل البلد الذين يعرفون الانكليزية كما أن المكبر لم يعلن ولا مرة واحدة باللغة الهندية التي هي اللغة الرسمية لحكومة البلاد والتي اصلها من السنسكريتية لأنه لا أحد من جمهور المسافرين يفهمها هناك.

ولكن عندما كلمته بالانكليزية لم يفهم مع الأسف منها شيئًا فقلت له بالأوردية (جنتا زبان اردو؟) اي: أتتكلم الاوردية؟ ففرح بذلك وقال: چي، أي، نعم.

ثم سألني أتتكلمها؟ فقلت: تورا تورا؟ أي قليلاً قليلاً، ثم سألته عن اللغات التي يحسنها فأجاب إنها اربع البنجابية والاوردية والبنغالية والهندية. ولم تكن فيها الانكليزية. لذلك حرمت من شرح ما يحتاج إلى الشرح من كلامه.

وبلغ طول الطريق من فندق المطار إلى فندق (ابروي قراند) في كلكتا اثنين وثلاثين كيلاً كلها إلا حوالي ثلاثة كيلات في داخل مدينة كلكتا الكبيرة

إبتدأ الطريق وهو ذو اتجاهين يفصل بينهما جزيرة غير عريضة مزروعة بالحشائش والنباتات غير المزهرة ومسورة بالاسلاك حذرًا من أن تأكلها الابقار السائبة التي هي معظمة، بل مؤلهة في هذه البلاد الهندية.

ويرى المرء على يمين الطريق ويساره آثار الفيضان مياها لاتزال متخلفة في الاماكن المنخفضة، وآثار طمي أسود كبير على ضفاف بعض مجاري المياه ويريد السائق أن يوضح لي ذلك فلا افهم ما يقول، وأراه واسمعه ينتقل بحديثه من لغة لا افهمها إلى أخرى لا أفهمها يُقلِّب الكلام وأنا لا أفهم منه ما يقصده لأنه لايفهم إلا اللغات الهندية.

وكلما زدنا في المشي أو قل: كل ما أوغلنا في المدينة زادت كثافة المارة وازدحام البيوت حتى وصلنا قلب المدينة الغاص بالناس فإذا به ذو بيوت متلاصقة، وارصفة غير مصونة، وأرض مسفلتة ولكن سفلتة ضرتها أكثر مما نفعتها لأنها مليئة بالحفر الصغيرة.

والأدهى من ذلك صعوبة السير فقد عجبت لسائق سيارة الأجرة كيف يستطيع ان يخلص نفسه وبدون مبالاة من هذا الطوفان المؤلف من اناس ومن سيارات ركوب كبيرة تنفث الدخان الكثيف المؤذى ومن عربات الركشا التي يؤلم منظرها النفس، ويحز في الفؤاد ذلك بأنك ترى رجلاً قد يكون ضعيف البنية هزيل البدن مصفر الوجه، وان كان وجهه لايعدم بقعة حمراء فيه تلك هي فمه الذي يكون احمر من اكل التنبول تراه وهو حافي القدمين قد أمسك بيديه خشبتين أو قل اثنتين من العصيّ - جمع عصا - قد ربطتا إلى عربة ذات عجلتين قد ركب فيها شخص أو شخصان وقد يكون الراكبون أسرة أكثر من شخصين وهو يجر هذه العربة بهم بين زحام الناس والسيارات وهو إذا وصل مكانا مرتفعاً جمع جسمه وبذل كل جهده لكي يستطيع ان يجر منه العربة وإذا بلغ منخفضا حاول أن يقف حتى يخفف من اندفاعها ومن حسن حظه وامثاله أن المرتفعات والمنخفضات هنا قليلة.



راكب في الدراجة التي يجرها رجل

والمؤلم أن الراكب الذي يبدو سعيداً في مركبه المظلل حتى عن الشمس والمطر وهو يرى ذلك الانسان الشقي يجر به العربة ماشيا في الشوارع حتى يصل به إلى مقصده مع أن الراكب قد يكون اقوى جسماً وأكثر لحماً من السائق.

أما سائق السيارة التي اركبها فما رأيت أمهر منه في هذه البلاد، ولكن ما رأيت اقل رحمة منه لهؤلاء الساحبين لعربات الركشا ولا لأولئك المارة البائسين، فهو إذا حاذى أحدًا منهم الحَّ على بوق سيارته القوي ينذرهم ويحذرهم دون أن يقف أو يخفف من سيره فيضطرون هم للوقوف أو الانحراف والابتعاد عن طريقه، أما أنا فقد اجتمع عليَّ عاملان من التأثر احدهما من منظر أولئك البائسين من الحفاة الساحبين للعربات. والثاني: الخوف من منظر حادث يضع سائق السيارة فيه نفسه ولكن ذلك لم يحدث حتى وصلنا إلى بناء ليس بذاك من بعيد أشار إليه السائق قائلاً: هوتيل أوبروى أي: هذا هو فندقك ولكنه على البعد ليس مما يطمئن إليه والمنطقة التي هو فيها ليست فاخرة مع أنه يفترض أن يكون مثله في منطقة جميلة لأنه من مساكن السائحين، وأرباب الأعمال التجارية.

ولكن عند ما وقف عند بابه رأيت جماعة من الأوروبيين والأمريكيين خارجين منه فاطمأننت إلى أنه سيكون جيد المستوى لأنهم في الغالب لايختارون إلا ماكان كذلك.

وبادرنا عند السيارة شخصان احدهما: حامل الفندق، والثاني: امرأة هندية تحمل طفلاً اخذت تستجدي، وتلح ولم افهم من كلامها إلا قولها (بابا) (بابا) وهي كلمة اكرهها من النساء حتى من هذه الهندية التي يخيف منظرها الرجال ولكن ذلك من وحي قول الشاعر:

وإذا دعونك عمهن فإنه نسب يزيدك عندهن خَبَالا

وتخلصت منها بصعوبة ومن صبي شحاذ ايضاً، ودخلت إلى الفندق الذي كان داخله خيراً من مظهره الخارجي وهو ذو ممرات وأبهاء جيدة فوجدت في مكتب الاستقبال رجلاً ونساءاً ثلاثا بلا شك من غير اهل هذه المنطقة فهن صباح الوجوه، إلا أنهن يرتدين اللباس الهندي الذي لايوافق أذواق كثير من الناس.

وقلت للرجل: اريد غرفة فقال احجزت من قيل؟

فقلت له: لا . فنظر في أوراقه ثم اعطاني بطاقة قال: إملأها فلما بدأت بذلك رأتني احداهن فجاءت تبتسم وتنظر فيما اكتبه وتريني أشياء قد ألفتها ومرت عليَّ كثيراً في كثير من الفنادق ، ولكن كان وجهها في هذه المدينة وبين وجوه نسائها كالواحة الخضراء وسط الصحراء فلم اكره ان ترشدني إلى مالا احتاج إلى الإرشاد إليه، وعندما انتهت البطاقة قالت وهي تبتسم ، إن غرفتك تحتاج إلى اعداد فيمكنك أن تلبث في المقهى مدة ثلاثة أرباع الساعة حتى ينتهى ذلك فسألتها؛ وأمتعتي؟

فأجابت : لقد وكلت بها أحد الخدم فشكرتها وخاصة أن الابتسام هنا قليل ، وآخر عهدي به كان في جزر (المالديف) عندما تركتها قبل ثلاثة أيام ، وكانت الابتسامات في الطائرة الهندية موجودة على شفاه بعض المضيفات الهنديات ولكنني لم اعتبرها إلا (تكشيرات) غير مستحبات لأنها من وجوه غير صبيحات.

ولم اكد اجلس في المقهى حتى جاءني الخادم الموكل بأمتعتي وهو يقول إن غرفتك جاهزة ، ويريني مفتاحها بيده.

وحمل الحقائب وهو لايكاد يقوي على ذلك لضعفه وربما كان مع الضعف كبر السن ، وصحبني إلى ممرات في الدور الثالث من الفندق عديدة متعرجة إلا أن مظهرها جيد فهي مفروشة بالسجاد الموحد وهو الأحمر المنقط بصفرة حتى وصلت إلى الغرفة فإذا بها غرفة واسعة فيها سرير واحد عريض يتسع لشخصين إلا أن الادوات التي في الغرفة والحمام الذي فيها قديمة الطراز ، وقد اعطوني بطاقة توضح رقم غرفتي وأن اجرتها لليلة الواحدة ثلثمائة وخمسون روبية يضاف إليها ١٠٪ خدمة وبذلك يكون أغلى فندق في الهند نزلته مع أنه لايستحق كل ذلك ولكن الفنادق النظيفة ليست كثيرة في كلكتا.

جولة في كلكتا :

كلكتا مدينة ضخمة سكانها كما قلت اثنا عشر مليونا ولذلك لا أدري أيصح أن يقال عن تمشية قضيتها في شوارعها القريبة من الفندق جولة أم لا ولكنها على اية

حال جولة في بعض أنحائها وربما تعطي فكرة عن باقيها إلا أنها تعطي فكرة أزهى وانضر لأنها في حي يعتبر الحي الراقي القديم فيها.

كانت الجولة على الاقدام فسرت وكان أول مابادرني وانا خارج من الفندق امرأة (شحاذة) تحمل طفلها رأيتها واقفة عند الفندق تصطاد الخارجين والداخلين وهي تلح وتهمهم بما لا افهمه، وصبي يحمل اداة تلميع الاحذية وصبغها وهو يلح في أن أقف، واصبغ حذائي عنده وتجاهلت الاثنين فنكص الصبي ولم تنكص المرأة وظلت تلاحقني حتى ابعدت.

اخذت أتأمل سحنات الوجوه، وابصر حركات الناس فإذا بهم وكأنهم جنس آخر من الناس إلا أنهم لم يخرجوا بذلك عن دائرة الجنس الهندي وهذا من عجائب الهند ففيهم من سحنة الهند وسمرتها كما في سائر أهل الهند ولكن لهم لغتهم الخاصة التي هي اللغة البنغالية ولهم مع ذلك سحنتهم الخاصة التي لا أدري ماهي، ولكن القادم مثلي من مدينة مدراس ذات الشهرة الواسعة في السمرة وبأن اهلها هم من اهل الهند الاصليين الذين لم يختلطوا بالأجناس الآرية القادمة من الشمال لايستنكر السمرة.

الجن في كلكتا :

لا أدري وأنا انظر وجوه بعض الناس في كلكتا وليس كلهم كيف خطر لي أن أستعيذ من الجن مع أنه ليس فيهم شبه من الجن ولأنني لم أر الجن حتى الآن ولكن المرء إذا رأى القصير النحيل الذي يكون في بعض الاحيان بارز العينين لابسبب كبر عينيه، وإنما بسبب ضمور وجنتيه وإذا رأى وفهم من حالته فهما وإن لم يقلها هو قولاً بأنه يعاني شيئاً من النقص ويبحث عما يسد به نقصه فإنه يشعر شعوراً هو مزيج من الشفقة والإستغراب.

فأهل كلكتا على وجه العموم سمر ولكنهم ليسوا اكثر اهل الهند سمرة بل هم اقل سمرة من أهل مدراس ولكنهم أكثر نحولاً في الاجسام، واقصر قامات، وأمارات العوز ظاهرة على وجوه جمهورهم، وشئ اهم من ذلك هو أن المرء يستغرب من عدم التناسق في تقاسيم وجوههم وفي اجسامهم مثل مايشعر بذلك إذا رأى بعض أهالي سيلان.

أول ماتعجب له هو كثرة الحوانيت الصغيرة التي تبيع التنبول للمارة ويكون صاحبها في الغالب متربعاً على دكانه وفي الغالب يكاد يكون قد شغله كله بجسمه لأن الدكان يكون صغيراً لعدم حاجته إلى الكبر والسعة، وترى المارة يقفون عنده ويشترون ويضعون في افواههم، وبعضهم تراه وقد وضعه قبل ذلك فأصبح فمه احمر كمؤخرة القرد، وتراه يبصق في بعض الاحيان فتشمئز من ذلك ولكنك ربما تعتاد على رؤيته لأن البصاق في شوارعها كثير.

ولن يكون شعورك هنا هو شعور الإشمئزاز وحده وإنما سيكون معه شعور بالرثاء والشفقة إذا رأيت أولئك القوم الحفاة وهم يجرون العربات التي تحمل الاشخاص يجاهدون أن يسرعوا بها والراكبون من فوقهم لايبالون بهم ولا بما يعانونه من مشاق.

وقد تجد صفا من هذه العربات بجانب الرصيف ينتظر قادته أو على الاصح حملته ان يقيض الله صيداً سمينا يقع في شباكهم أو يقعون هم في شباكه فكنت إذا مررت بهم وتوسموا فيك سمن الجيب فإنهم يحركون اجراساً في ايديهم اعتادوا ان يستعملوها لتنبيه الناس على الابتعاد عن طريق عرباتهم إذا كانوا يسيرون بها في الشوارع فهي لهم بمثابة أبواق السيارات. فإذا لم تنفع تلك الاجراس في ايقاظك من غفلتك عنهم أوكنت مثلى ممن لايحبون أن يلتفت اليهم الناس إذا كانوا غرباء فلم تنف رغبتك في الركوب معهم فإنهم يشفعون قرع الأجراس، بقرع الاضراس إن صح التعبير إذ يصيحون بك أن تركب معهم وقد نازعتني نفسي إلى أن اجرب الركوب معهم لأنهم قريبون من الأرض واجرتهم رخيصة ولكنني لم استطع ذلك لأنني لا احتمل ان أرى عذابهم وجهادهم في تحمل جر ما يحملونه.



رجال يجرون عربات الحمل في كلكتا

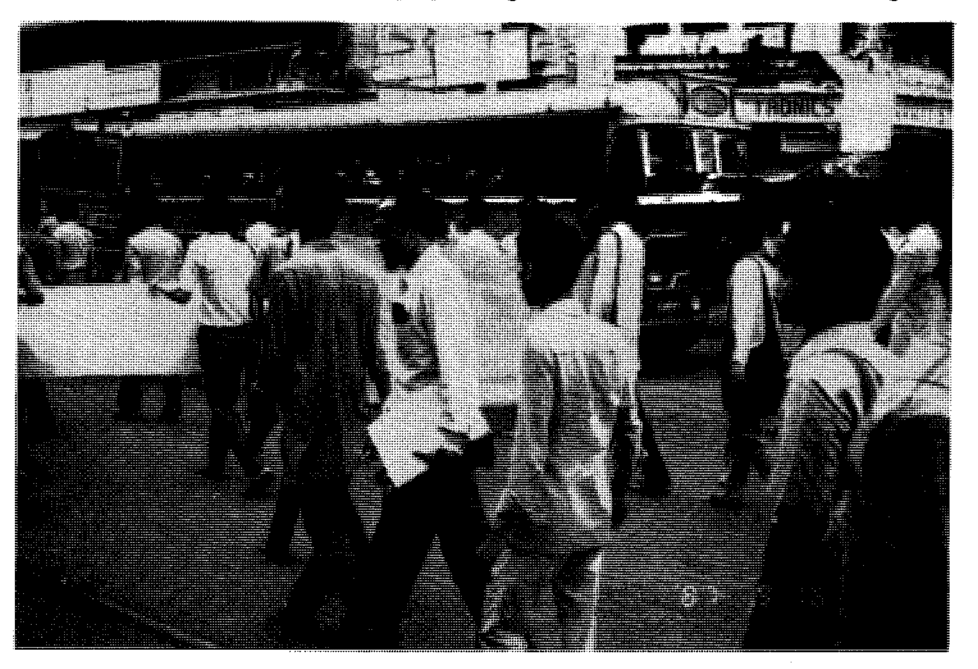
ومضـيت اتجـول فـإذا بـي أرى نوعًا آخـر من العـربات التي تجـرها الـطاقـة البشرية إلا وهي عـربات مـخصـصـة لحمـل الاثقال مـثل أكـياس الارز والقـمح، وقطع الاخشـاب الثقيلة ونحو ذلك وهـذه لايجرها الحيوان، وإنما يجـرها الانسان ولكن يتظافـر على جـرها اكـثـر من واحـد ويكون المتـوسط أن يشـتـرك في جـرها رجلان حتى إذا ما وصلا إلى مرتفع نسبي تأخـر أحدهما وبدأ يدفعها دفعًا من تلقاء مؤخرتها، في حين يكون صاحبه يواصل جرها من الأمام.

ومما يثير العاطفة أكثر أنني رأيت رجلاً يجـر عربة عليها حوالي عشرة أكياس من أكيـاس الخيش الكبيرة مليـئة وامرأة مـعه لعلهـا زوجتـه أو قريبتـه تدفعـها من الخلف تعاونه بذلك.

ومررت بمطاعم شـعبية ولـكنها من النوع غير الـراقي إذ تجد موائدها صغـيرة والاطـعمة التـي تقدم فـيها قليلـة والخدم الذي يعـملون فـيهـا ليـسوا عـلى المستـوى المناسب من حيث لبـاسهم ومن حيث صـحتهم، ولم ادخل هذه المطاعم أو آكل فيـها وإنما أشرفت عليها من البعد.

ويرى المرء هنا كثيراً من الناس من الذين يلبسون اللباس الهندوكي القديم وهو الإزار المؤلف من قطعة واحدة من قماش أبيض خفيف يلفه المرء حول وسطه ثم يرفع طرفه حتى يبدو ما بين فخديه إلى أعلى من الركبة كثيراً ويكون جزء منه مدلى تحت الرجلين يعرقل السير كما تعرقله فضلات الساري الهندي الذي تلبسه النساء ومع كل ذلك فأهالي كلكتا يتأنقون في حلق اللحى فقلما يجد المرء فيهم رجلاً بلحية وإنما غالبهم يحلقونها.

واغرب ما رأيت في مدينة من المدن الكبرى وهو أمر لم أره في المدن الهندية الكبيرة أنه أمام فندقنا (ابروي قراند) موقف لحافلات الركاب إذا وقفت السيارة وقف رجل ببابها، وغالبًا مايكون فتى ينادى بأقصى صوته على الجهة التي تقصدها وبعضها يقف اثنان يناديان عليها احدهما في الباب الأمامي والثاني في الباب الخلفي على كثرة الحافلات لذلك تتشابك اصوات المنادين، وتزيد ضجة الشارع إلى جانب ضجة السيارات لأنه شارع رئيسي في المدينة.

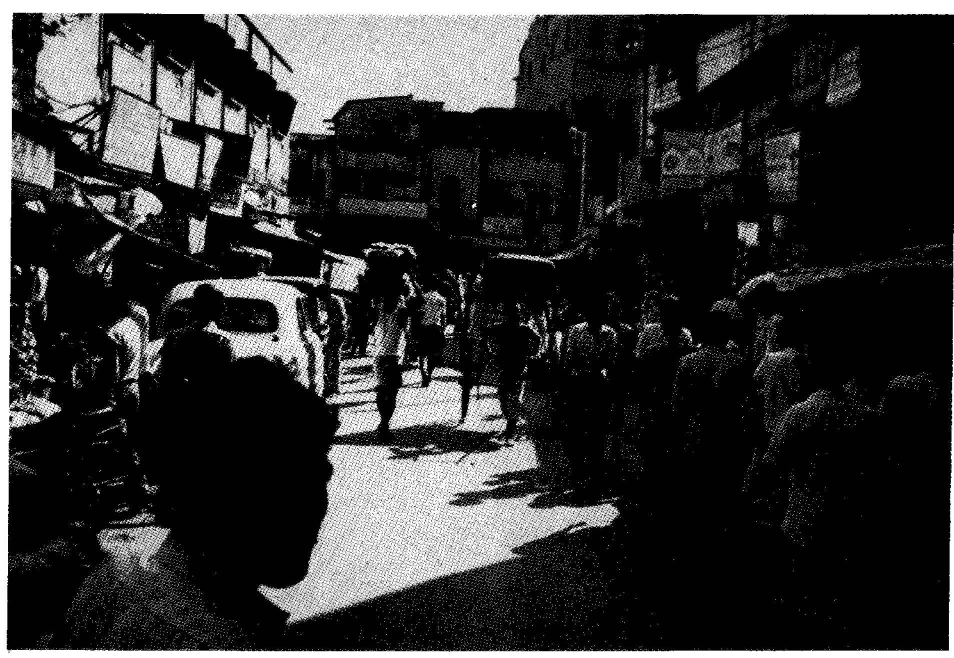


حافلات في شارع رئيسي في كلكتا

وعلى الرصيف يجد المرء باعة كثير من البضائع المختلفة وأغلبها من المصنوعات الهندية الرخيصة جداً مثل حافظات النقود الجلدية التي رأيت صاحبها ينادي عليها بروبية واحدة مع أنها مزركشة ومنقوشة، أما النساء فأكثر المارات منهن هن نساء الهند في لباس الساري التقليدي الذي تلبسه الهندوكيات غير أن كشف البطن والظهر ليس موجوداً بالكثرة الذي هو موجود بها في سائر مدن الهند الكبرى فهو موجود إلا أن بعض النساء يسترنه بطرف الساري.

وأما ملامح النساء ومظاهرهن فإن «النساء شقائق الرجال».

وبعد هذه الجولة المتعبة التي كان مصدر تعبها من المشي عدم رؤية الاشياء الجميلة لامن أهل البلاد الذين كانوا لعمر الحق مؤدبين مع الغريب لايؤذونه ولايعترضونه حتى المتسولون قد انتهت منطقتهم بدائرة حول الفندق كان لابد لي من الاستراحة في الفندق على أن تكون الجولة الأخرى في هذا المساء أو في صباح غد.



شارع في كلكتا

وعدت إلى الفندق وذهبت ابحث عن وكالة للسياحة الداخلية لاحجز معها تذكرة وحريّ بهذا الفندق أن يكون هو المقر الملائم لها، كما ذهبت ابحث عن مكتب لشركة الطيران الهندية لاحجز معها للسفر في مساء الغد إلى (داكا)، فلم أجد الاثنتين وإنما وجدت وكالة للسفر قالت الفتاة التي في مكتبها: إنني سوف احجز لك إلى داكا مساء غد ولكن عليك أن تعطيني التذكرة الآن وتأخذها بعد العصر.

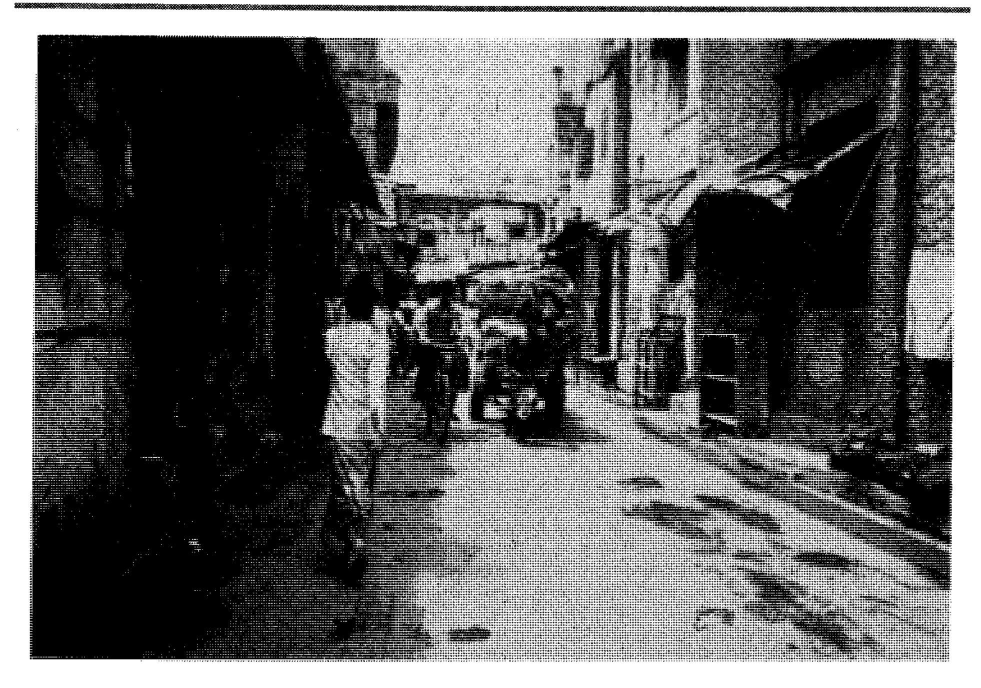
وأما الوكالة للسفر الداخلي أو للجولة في المدينة فأخبرتني كما أخبرني موظف في الفندق أنه لايوجد هنا وكيل لها وإنما يوجد مكتب حكومي لهذا الأمر وقد تكون عنده سيارة صغيرة ودليل معها وليس حافلة من حافلات السياح المعروفة في العالم والتي تكون رخيصة جدًا بالنسبة إلى أجرة سيارة صغيرة خاصة.

وبعد الظهر رجعت إلى موظفة الشركة فلم يكن منها إلا أن رفعت سماعة الهاتف وتكلمت بلغتها ثم كتبت شيئًا على التذكرة وقالت: لقد تم الحجز فأعطني عشر روبيات.

وكان موعد السفر في الساعة الرابعة بعد ظهر غد على أن تكون مغادرة الفندق في الساعة الواحدة بعد الظهر لطول المسافة والمدة مابين الفندق والمطار.

جولة أخرى :

وفي المساء ما بعد العصر إلى قرب العشاء كانت جولة أخرى في مدينة (كلكتا) الكبيرة ذات الاناسي الكثر الذين لو جاز أن يقال إنهم لو ضغطوا لعادوا إلى أقل من نصف ماهم عليه بالنسبة إلى الناس الآخرين في العالم الآخر الذي هو خارج العالم الهندي، فدخولهم المالية منخفضة وأجسامهم ليست ضخمة ومآكلهم ليست كمآكل الآخرين وحاجتهم أو قل ما يتحقق لهم من حاجاتهم هو أقل من غيرهم بقليل، ولكنهم قوم لهم مثلهم العليا، التي بها يتعلقون ولهم آدابهم في العلاقات العامة التي بها يتعاملون، ولهم فلسفتهم في الحياة التي يعيشون، ولله في خلقه شؤون، ولكن أكثر الناس لايعلمون.



في حي شعبي في كلكتا

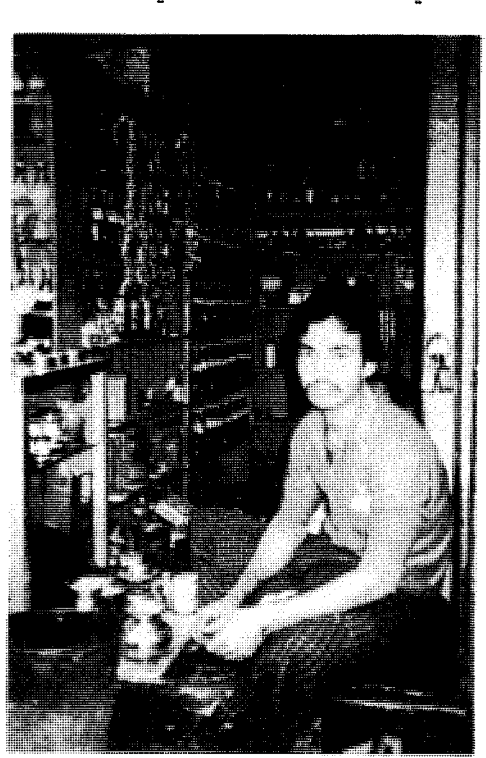
المرأة في الشارع :

وفي شوارع هذه المدينة الهندية الكبرى وفي شوارع غيرها من المدن الهندية وفي ميادين تلك المدن ومحلاتها العامة كالفنادق والمطاعم يرى الغريب المرأة الهندية سافرة الوجه بل ظاهرة الظهر والبطن ولكنه لايرى ابداً مناظر معاكسات أو مغازلات أو اشياء في الشارع يخجل منها المرؤ، أو يندى جبينه، فالرجل لايفعل ذلك مع المرأة والمرأة لاتفعله مع الرجل حتى مع الرجل الغريب فإنها تمضى في سبيلها وإذا لفت نظرها الغريب فانها تنظر إليه كما تنظر إلى شئ غريب آخر أو هكذا تظهر للناس فلا فرق في نظرها - في الظاهر - بين نظرتها إلى الرجل حتى وإن أعجبها مظهره وبين نظرتها إلى الطفل أو حتى إلى السيارة وذلك لأن تربيتها قد فرضت عليها ذلك وهي وأهل بلدها قد اختاروا هذه التربية أو اختيرت لهم من اسلافهم فساروا عليها.

حتى المرأة الاجنبية التي تخالف المرأة الهندية في كل شيء تقريباً فإن الرجل الهندي لايلتفت إليها، ولايتبعها بصره كما يفعل العربي مثلاً ولا تراه يلتفت إلى زميله أو رفيقه يلفت نظره إليها فضلاً عن أن يتابعها بالمشي أو يطري جمالها بشئ يعبر به عن اعجابه كالصفير مثلاً.

وهذا عجب من أمر الهند التي لاتفنى عجائبها.

وفي هذه الجولة المسائية كان المارة أكثر في شارعنا الرئيسي الذي يقع عليه الفندق وفيما حوله من الشوارع وربما كان ذلك لكونهم قد اعتادوا مثلاً ألا يبقوا في البيوت ساعة الغروب بسبب طيب الجو في تلك الساعة لاسيما في مدينة تكون حارة في الصيف بل شديدة الحرارة، أما في هذا اليوم فإن الجو فيها ربيعي جميل فثياب الصيف البيض الرقيقة هي السائدة دون أن اراهم يشعرون بالبرد وأما أنا فإنني قد لبست قميصاً خفيفاً ليس غير ولست أشعر بالحر أو بالبرد.



بائع التنبول في كلكتا

الرقص الهندي:

لم تكن لدي ارتباطات أو مواعيد خارج الفندق هذه الليلة فجعلت ابحث عن مكان اقضي فيه جزءاًمن هذا المساء فإذا بي اجد اعلاناً في الفندق يقول: إن الراقصة الاسبانية الشهيرة في إجادتها لرقص الفلامنكو موجودة هذه الليلة في بار الفندق وسوف تستمتع بذلك، فقلت في نفسي: هذا لايناسني ولو اردت مشاهدة رقصة الفلامنكو لكان في موطنها اسبانيا افضل.

ثم وجدت لوحة إرشادية تقول : شاهد هذه الليلة الرقص الهندي التقليدي في غرفة كذا حيث يقوم الراقص الهندي بابراز مقدرته الفنية لك وسيكون ذلك في الساعة السابعة مساء فقلت: هذه هي الفرصة السانحة التي ربما لاتتكرر كثيراً فالرقص الهندي مشهور عندنا بأنه لايقصد منه الإغراء أو اظهار مفاتن الجسم، كما هو معروف عندنا عن رقص النساء، وقد تبين بعد ذلك ان ماسمعناه صحيح.

ذهبت إلى حيث وصف الموضع استهدي باللافتة حتى وصلت إلى مكان لم اتحقق أنه المطلوب في الطابق الأول وإذا بأحد الخدم يمر بي فاسأله عن ذلك فيقرع ذلك الباب ويخرج منه رجل اخبرته بمقصودي فأجاب: نعم تفضل والرسم المقرر لمشاهدته هو تسع روبيات وليس لدينا أكل أو شرب أو غيره فقلت: لابأس. فقال: ادخل وسوف آخذ منك النقود بعد ذلك.

ودخلت إلى غرفة واحدة غير واسعة قد صف في جهة من جهاتها صفان من الكراسي أكثرها مشغول بقوم من الأوروبيين جاؤا مثل ما جئت ليروا الرقص الهندي الشهير، وفي الجهة الأخرى جلس على الأرض اربعة من الهنود يعزفون الآلات الموسيقية الهندية التقليدية وكلهم قد جلسوا على الأرض متربعين دون كراسٍ.

وكانت اصوات الموسيقى عالية بالنسبة إلى كون الغرفة مغلقة وصوتها ليس محببا لعدم اعتياد آذاننا عليها ولكن المقصود من المجيء ليس هو سماع الموسيقى الهندية، وإنما هو مشاهدة الرقص الهندي التقليدي.

وبعد إشارة موسيقية من عزف على الدف شديد دخل رجل نحيل يركض وجعل يتمايل على انغام الموسيقى بحركات ليست متناسقة بالنسبة لما نفهمه لأنه كان فيما نظن يحكي برقصه حوادث قصة أو يشير إلى شئ معين. وكان نحيل الجسم كما قلت ولكن الغرابة في أنه قد لبس في ساقيه عدداً من الخلاخيل والاشياء التي تشبه الاجراس تجلجل اصواتها إذا حرك رجليه أو أتى بأية حركة. وهو ذو لحية دقيقة وعارضين خفيفين يتناسبان مع وجهه الدقيق الطويل وعلى رأسه عمامة هندية تقليدية شبيهة بالتي تكون على رؤوس طائفة السيخ في الهند.

وبعد قفزات وتمايلات على أنغام الموسيقى جاءت امرأة هندية متوسطة الجسم والعمر واللون فلا هي بالبيضاء، ولا السمراء وقد لبست لباساً هندياً تقليدياً أهم مافيه الخلاخيل الكثيرة في ساقيها التي تحدث أصواتاً خاصة عند الحركة وأخذت تتبادل معه القفزات والتمايلات والحركات التي تشير إلى معانٍ لانفهمها غير أنه ليس من بينها الإغراء أو حكاية ما يكون بين المرأة والرجل من أشياء يخجل منها بعض الناس.

هذا والمرأة مستورة الجسم والرأس لايبين منها إلاأسافل رجليها ووجهها وقد خرمت طرف انفها وجعلت فيه سلسلة ذهبية امتدت عبر خدها إلى جانب رأسها.

ثم دخل في الحلبة راقص آخر وهو رجل لايمكن وصف منظره إلا بأنه منفر يشمئز منه الذوق ولعل القصة التي لم نفهمها تقتضي ذلك.

ثم انتهت هذه الفقرة واستمرت الموسيقى تعزف بصوت مرتفع.

ثم دخل رجل عرفنا بعد ذلك أنه هو نفسه الأول ولكنه كان قد غير ملابسه وهيئته ثم دخل زميل له آخر، وأخيراً دخلت امرأتان هما الأولى وفتاة نحيلة جديدة على الرقصة.

هذا والرقص يتم دون حلبة وعلى أرض غرفة ضيقة.

وبعد حوالي اربعين دقيقة انتهى كل شئ وانصرف الناس وجاء الرجل إليَّ يتقاضى الروبيات التسع فاعطيته إياها وأنا اقول في نفسي: لئن فاتنا الاستمتاع لم يفتنا الإطلاع.

يوم الأربعاء ١٣ محرم ١٣٩٩هـ، ١٩٧٨/١٢/١٣م.

مغادرة كلكتا :

عدا جولة قصيرة فإنني لم ابرح الفندق هذا الصباح وفي الساعة الحادية عشرة ذهبت إلى مكتب الاستقبال في الفندق فرأيت فيه فتاة ممشوقة القوام كأنما هبطت إلى هذه المدينة من عالم آخر لعله يكون في الشمال وسألتها قائلاً: أنتم ذكرتم في التعليمات التي في الغرفة أن الخروج من الغرفة يكون في الثانية عشرة ظهراً وأنا سوف أغادر الفندق في الواحدة بعد الظهر فهل يمكنني أن اظل حتى الواحدة، فأجابت: لا، إن معنى كلمة ظهر هو الثانية عشرة وإذا بقيت إلى الواحدة فإنهم

يحسبون عليك أجرة نصف يوم فقلت لها: معنى هذا انهم سوف يأخذون مني مائتي روبية مقابل البقاء في الغرفة ساعة واحدة؟ قالت: نعم!

فذهبت إلى الغرفة واعددت حقائبي للسفر ونزلت قبل الثانية عشرة بدقيقة وقلت لعامل في الفندق احرس حقيبتي الكبيرة حتى افرغ من غدائي في مطعم الفندق في الساعة الواحدة ولك مني خمس روبيات ففرح وقال: لك ذلك عليّ.

وذهبت إلى المطعم فجلست في ركن منه أتغدى ثم اشرب الشاي حتى حان الموعد وعندما عدت رأيت العامل يرقب مجيئ من بعيد لاطمعاً في الروبيات الخمس فقد حصل عليها وإنما طمعاً في المزيد إلا أن موظفاً من الفندق منعه من أن يمضي معي بحقيبتي إلا بعد الإذن من خازن الفندق وذهب ليحصل على الاذن ولكن الخازن منعه من ذلك إلا بعد أن أجيء إليه بنفسي ويعرف أنني صاحب المتاع لأنني أنا الذي سلمته أجرة الغرفة وعندما ما رآني أو مأ برأسه إلى الحامل أن لاباس.

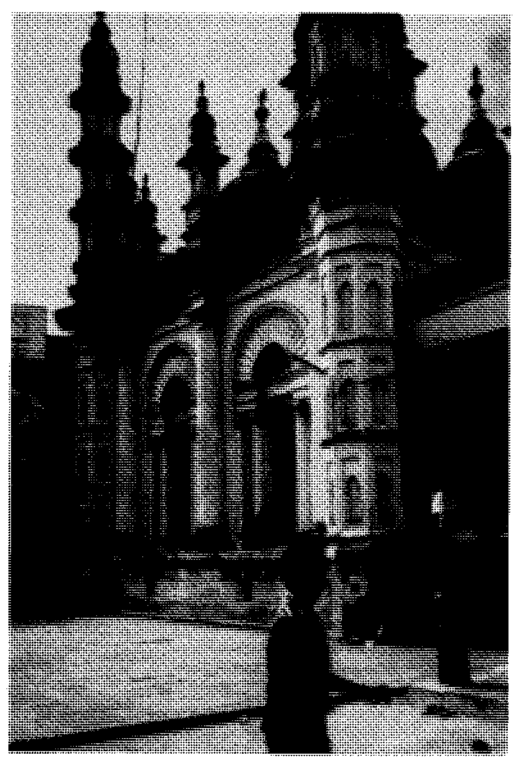
وهذه طريقة عندهم جيدة للاحتياط لصاحب المتاع إذْ ربما كان الذي أدعى أنه صاحب الامتعة غيري ولو لم يرني الخازن لكان ذهب به.

وعلى ذكر الخازن أقول: إنني أتيته وقلت له: إنني أريد الدفع فطلب مني أربعمائة وعشر روبيات للغرفة عن ليلة واحدة، وهذا مبلغ كبير يساوي سبعاً وعشرين جنيهاً استرلينا ونصفاً أو اربعة وخمسين دولاراً وبخاصة أن الفندق ليس من فنادق الدرجة الممتازة، ولكن هكذا كلكتا كل شيء فيها يحاول أن يجعل المرء لايفكر في العودة إليها مختاراً.

وحمل العامل الأمتعة وخرج من الفندق ونادى سائق أجرة فأسرع وكان هذه المرة فتى ليس عليه ملامح أهل كلكتا وقبل أن اسأله عن حاله؟ سألني هو: أأنت عربي؟ قلت: نعم من أين عرفت؟ قال: رأيت بعض العرب وانا من (بتنه) عاصمة ولاية بيهار.

ولما رأيته يلح على ساحبي عربات الركشا من المشاة الحفاة ويكثر من ازعاجهم ببوق سيارته قلت له: ياهذا إن هؤلاء قوم فقراء يستحقون الرحمة فارفق بهم، فقال: الفقراء كثيرون في هذه المدينة إنهم ملايين فكيف ترحمهم كلهم؟

واخذ يخترق بسيارته شوارع المدينة الكبـيــرة وهو لايكف عن الثرثرة بلغة انكليزية جيدة، وهذا شئ ممتع لي إذْ أبغض شئ إليّ أن ابتلى برفيق صموت لأنني لا استفيد منه شيئًا حتى قاربنا أن نصل المطار ووصلنا إلى بعض العمارات الحديثة قال: إنها للجيش وقد لاحظت أن أكثر البنايات في كلكتا كئيبةً المنظر إذ قل أن تجد عمارة ذات طلاء بهيج بل قل أن ترى عمارة يخيل إليك أنها جديدة وربما كانوا لايهتمون بالمظهر كثيرًا.



مسجد جامع في كلكتا

هذا وقـد وصلت المطار بعـد خمسين دقيقة من مغادرة الفندق وكان من أهم ما استرعى انتباهي عدا مناظر الناس التي اصبحت لاتستوقف النظر أشياء نشرت على الحشيش كأنها قطع الحصير سألت عنها فقالوا: إنها رقائق الخشب تجفف في الشمس ثم تنقل لتصنع منها أعواد الثقاب. وعدد من الابقار التي تأكل من الحشيش الذي زرعته البلدية أو قل لاحظته البلدية وما من أحد ينتهر تلك الابقار أو يصدها عما ارادت لأن البقر معظم عندهم.

وكان المطار كما قلت سابقًا صغيرًا بالنسبة إلى حجم المدينة التي يخدمها التي يبلغ عدد سكانها اثني عشر مليونًا والحركة عليه أقل من ذلك وذكرت بهذه المناسبة مطار هلسنكي عاصمة فنلندا التي لايزيد سكانها على نصف مليون شخص عند مازرتها قبل سنتين وكان مطارها أوسع من هذا المطار أضعافًامضاعفة وكان الذين يستعملونه يركبون منه أو ينزلون فيه أكثر من الذين يستعملون مطار كلكتا

هذا اضعافًا أكثر من ذلك، والفرق بين الاثنين هو الفرق بين الناس في البلدين فأولئك قوم متعلمون يقدمون للحياة كثيراً من العمل ثم يستعملون كثيراً من وسائل الحياة، وهؤلاء الهنود قانعون بما هم فيه يقدمون اليسير من العمل، إما اليسير كيفا أو اليسير مقداراً، ويقنعون بما يتمتعون به من الحياة على مقدار ما يبذلون من عمل.


إلــى بنجلاديش



مقدمة مختصرة

تقع بنجلاديش في شبه القارة الهندية وتحيط بها الهند من جهات ثلاث هي الغرب والشمال والشرق ماعدا جزءاً صغيرا من هذا الاتجاه الشرقي واقعاً في جنوبه فإن لها فيه حدوداً مع بورما كما يحدها من الجنوب خليج البنغال وتبلغ مساحتها ٥٥,٦٠٠ميل مربع ومجموع سكانها ٨٩ مليون نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيهم ٨٦٪.

وكانت جزءاً من الهند التي كان الانكليز قد استعمروها وقد كانت بلاد البنغال مركزاً من مراكز الانكليز المهمة التي انطلقوا منها إلى استعمار داخل الهند، فكان الحاكم العام للاستعمار الانكليزي، يقيم هناك وخصوصاً في مدينة كلكتا التي بنيت في عهدهم واتخذوها مركزاً لحكم ما حولها وميناء مهما فبدأت العمارة فيها تتطور باطراد حتى أصبحت أكبر مدن الهند على الاطلاق.

وعند تقسيم القارة بين الهند وباكستان عام ١٩٤٧م اصبحت (بنجلاديش) هي الجزء الشرقي من باكستان وأطلق عليها اسم (باكستان الشرقية).

وفي عام ١٩٧١م انفصلت عن باكستان وألفت دولة (بنجلاديش) المستقلة لأسباب يطول شرحها من أهمها سوء السياسة في باكستان الغربية، وتعاون أعداء الإسلام، وفي مقدمتهم الهند على فصلها من أجل إضعاف باكستان وبالتالي إضعاف المسلمين في القارة الهندية.

خلفية تاريخية :

ليس كتابنا هذا كتاب تاريخ ولكنه كتاب رحلة ومشاهدات ومع ذلك أحببت أن انقل هنا نبذة مختصرة عن تاريخ بلاد البنغال التي كانت تسمى جميعاً (بنغالة) قبل استقلال الهند وما سبقه وذلك من كتاب «الهند في العهد الإسلامي» للسيد عبدالحي الحسني والد العلامة السيد ابي الحسن الندوي قال :

ملوك بنغالة :

فتحها عز الدين محمد بن بختيار الخلجي بأمر قطب الدين أيبك، لعله سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ومات سنة اثنتين وستمائة، وولي الملك مكانه محمد شيران الخلجي، وانطلق «علي مردان» أحد الأمراء إلى دهلى، وتقرب إلى قطب الدين أيبك، فاستعمله على بنغاله، فرجع، وقاتل محمد شيران المذكور، فسار إلى أودية الجبال فلم ير له عين ولا أثر، وتولى المملكة على مردان، وضبط البلاد.

ولما مات قطب الدين أيبك المذكور بدهلى، استقل بالملك، أي في بنغالة ولقب نفسه علاء الدين، مات سنة تسع وستمائة، فاتفق الناس على عوض بن الحسين الخلجي، فلقب نفسه غياث الدين، وبنى جسرًا كبيرًا من لكهنوتي إلى لكهنور، وفي الشعبة الغربية من نهر «گنگا»، ومن جانب آخر إلى «ديو كوث» في الشعبة الشرقية، كانت مسيرة عشرة أيام، فاستراح الناس به.

وبعث إليه شمس الدين الأيلتمش السرايا غير مرة، ثم سار بنفسه سنة اثنتين وعشرين وستمائة، واصطلحا على مال يؤديه، وقبض على «بهار»، ثم سير ولده ناصر الدين محمود سنة أربع وعشرين وستمائة بعساكره العظيمة، فقاتله، وانهزم منه غياث الدين وقتل، وتولى المملكة ناصر الدين محمود بن أيلتمش، ولم تجاوز أيامه سنتين، مات سنة ست وعشرين وستمائة، فسار أيلتمش إلى «بنغالة» سنة سبع وعشرين، وأصلح الفاسد، ثم استعمل علاء الدين خان المشهور بعزة الملك، فتولى المملكة ثلاث سنين، ثم ولي سيف الدين الترك، فاستقام بها ثلاث سنين، ثم ولى عز الدين طغانخان، وامتدت أيامه إلى ثلاث عشرة سنة.

وفي أيامه قدم التتر من طريق «تبت» إلى «بنغالة» سنة اثنتين وأربعين وستمائة، فبعث إليهم السلطان علاء الدين مسعود الدهلوي قره بيگ تيمور خان بعساكره العظيمة، فقاتلهم قتالاً شديدًا، وأخرجهم من تلك البلاد، فاستعمله السلطان المذكور على «بنغالة» فتولى المملكة عشرة أعوام، ثم استعمل عليها ناصر الدين محمود الدهلوى جلال الدين خان أحد أركان الدولة، ولم يلبث بها إلا سنة واحدة، ثم عزل، و ولى مكانه أرسلان خان، لعله سنة ست وخمسين وستمائة، فتولى المملكة زمانًا، ثم تولى ولده تاتار خان، ولم يزل أميرا على تلك البلاد إلى

عهد غياث الدين بلبن الدهلوي، ثم ولي طغرل، فضبط البلاد، وسار بعساكره إلى جاجنگر، وغنم أموالاً وفيلة، وأظهر العصيان على بلبن، ولقب نفسه مغيث الدين سنة ثمان وسبعين وستمائة، فبعث إليه غياث الدين بلبن السرية، وأمر عليها «اليتكين» أحد كبار الأمراء، فقاتله، وانهزم منه، فسار إلى بلبن بعساكره العظيمة، وقاتله ثم قتله، واستعمل على «بنغاله» ولده ناصر الدين محمود المشهور ببغرا خان، فتولى المملكة زمانًا، ولما مات أبوه غياث الدين، وولى بعده معز الدين بن ناصر الدين المذكور بدهلى، توجه لقتاله، والتقيا بالنهر، وسمى لقاءهما «قران السعدين»، وقد ذكرنا ذلك عند ذكر السلطان معز الدين، فترك السلطنة لولده، وعاد إلى «بنغاله»، وتوفى بها سنة إحدى وتسعين وستمائة.

ثم ولى ابنه ركن الدين، ومات سنة اثنتين وسبعمائة، ثم ولى صنوه شمس الدين، وامتدت أيامه إلى عشرين سنة، مات سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، فولى ابنه شهاب الدين، وخرج عليه أخوه غياث الدين، واستقل بالملك، فذهب شهاب الدين إلى دهلي، واستنصر بغياث الدين تغلق، فنصره، وولاه مكان أخيه، وأخذ غياث الدين أسيرًا.

ثم لما ولي الملك محمد شاه بن غياث الدين تغلق بدهلي، أطلق غياث الدين على أن يقاسمه ملكه، فنكث عليه، فقاتله حتى قتله، واستعمل على «بنغاله» أحد أمرائه، لعله تاتار خان، فقتله العسكر، واستولى على ناحية لكهنوتي «علي المبارك»، وخالفه «فخر الدين» بسد كانوان، واستقل بالملك، واشتدت الفتنة بينهما، ثم خرج على علي المبارك الحاج إلياس، وغلب عليه، وقتله، وولي الملك، ولقب شمس الدين، ومات فخر الدين، فولى بعده اختيار الدين بسد كانوان واستقل بها سنتين.

ثم غلب شمس الدين المذكور على سائر البلاد وبني بلدة حاجة پور في بلاد ترهت، ونقل مركز الحكومة من «سنار كاؤن» إلى «پندوه»، وسار إليه فيروز شاه الدهلوي بعساكره وقاتله، فخرج شمس الدين إلى قلعة «اكداله» وتحصن بها، ولما رجع فيروز شاه عاد إلى «پندوه»، وضبط البلاد مرة ثانية، وأرسل إلى فيروز شاه هدايا جميلة، مات سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وكانت مدته ست

عشرة سنة وبضعة أشهر، ثم ولي ابنه اسكندر شاه، وأرسل إلى فيروز شاه الدهلوي أموالاً وفيلة، واستقل بالملك تسع سنين، ثم ولى ابنه غياث الدين، واستقل بالملك سبع سنين وبضعة أشهر، مات سنة خمس وسبعين وسبعمائة، وكان من خيار السلاطين.

ثم ولي ابنه سلطان سيف الدين، ولقب نفسه سلطان السلاطين، واستقل بالملك عشر سنين وبضعة أشهر، مات سنة خمس وثمانين وسبعمائة، وكان على قدم أبيه في الشجاعة والكرم، وتأليف القلوب، وإرضاء الناس.

ثم ولي ابنه شمس الدين، وكان خفيف العقل، فغلب عليه «راجه كنيش» الوثنى أحد أمرائه، فلما مات شمس الدين سنة سبع وثمانين وسبعمائة، استقل بالملك، وامتدت أيامه إلى سبع سنين، ثم ولى ابنه«چيت مَل»، وأسلم بمحضر من الأمراء، ولقب نفسه جلال الدين وكان عادلا كريماً، ونقل مركز الحكومة من «پِندّوه» إلى «كور» وامتدت أيامه إلى سبع عشرة سنة، مات سنة اثنتي عشرة وثمانمائة.

وولي أحمد شاه واستقل بالملك مدة، مات سنة ثلاثين وثمانمائة، وولي بعده ناصر الدين شاه بهكره من سلائل الملوك الماضية، وامتدت أيامه إلى اثنتين وثلاثين سنة، مات سنة اثنتين وستين وثمانمائة.

ثم ولي ابنه باربك شاه، واستقل بالملك سبع عشرة سنة ومات سنة تسع وسبعين وثمانمائة، ثم ولي ابنه يوسف شاه، وكان من خيار السلاطين، عادلاً فاضلاً، كريماً، امتدت أيامه إلى سبع وثمانين سنة، مات سنة سبع وثمانين وثمانمائة، ثم ولى ابنه فتح شاه، وكان عالمًا خبيراً بدقائق الأمور، أحسن إلى الناس، وأصلح الفاسد من الأحباش، الذين كانوا متغلبين على الدولة، فنقموا عليه وقتلوه، سنة ست وتسعين وثمانمائه.

ثم ولي بعده قاتله «باربك»، وكان عبداً حبشياً، فلم تمتد أيامه من ثمانية أشهر، فقتله «انديل» الحبشي، واستقل بالملك، ولقب نفسه فيروز شاه، ومات سنة تسع وتسعين وثمانمائة، ثم ولى ابنه محمود شاه، وقيل إنه كان ولد فتح شاه المذكور، وكانت الوزراء متغلبة عليه، حتى قتله «بدر» الحبشي، واستقل بالملك،

ولقب نفسه مظفر شاه، ومدته ثلاث سنين وخمسة أشهر، ثم قتله السيد الشريف حسين بن أشرف الحسيني المكي، كان وزيرًا له، واستقل بالملك، ولقب نفسه علاء الدين، وكان من خيار السلاطين، امتدت أيامه إلى بضع وعشرين سنة، مات سنة سبع وعشرين وتسعمائة، ثم ولى ابنه «نصرة»، وأحسن إلى إخوته، مات سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، وولى بعده ابنه محمود شاه، وخرج عليه شير شاه السوري، وأخرجه من بلاده، فذهب إلى دهلى، واستنصر بهمايون بن بابر التيموري، فسار همايون بعساكره العظيمة إلى «بنغاله» سنة خمس وأربعين وتسعمائة، وقاتله ثم هزمه، ولما رجع من تلك البلاد إلى آكره، اختطفها شير شاه مرة أخرى، وولى على ملك البلاد خضر خان أحد أمراء الدولة، وبعد زمان يسير عزله، وولي محمد خان السوري، فاستقام له الأمر إلى آخر عهد سليم شاه، ولما مات سليم شاه المذكور، ولى ابنه، ثم قتله محمد شاه العدلي، واستقل بالسلطة، خرج عليه محمد خان المذكور، وقاتله، وقتل في المعركة، فقام مقامه ابنه سليم خان، وقيل اسمه خضر خان، ولقب نفسه بهادر شاه، فاستقام له الأمر ست سنين.

ثم ولي الملكة صنوه جلال الدين، واستقام له الأمر خمس سنين، ثم ولى ابنه، وقتل بعد سبعة أشهر من ولايته، وتغلب قاتله غياث الدين واستقل سنة، ثم قتله تاج خان كراني، فضبط البلاد، وأحسن إلى الناس، واستقل بالملك تسع سنوات، ثم ولى صنوه سليمان الكراني، واستقل بالملك خمسا وعشرين سنة، وكان من خيار السلاطين، مات سنة إحدى وثمانين وتسعمائه، ثم ولى ابنه بايزيد خان، ثم أخوه داود خان، ووقع الإختلاف بينه وبين لودى خان أحد الأمراء، فأدى إلى انقراض ملكه، وانتقال الدولة منه إلى أكبر شاه التيموري سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة.

آخر ماذكره السيد عبدالحي.

من كلكتا إلى دكا :

هذا المطار الذي نحن فيه الآن وهو مطار كلكتا واقع في بلاد البنغال الغربي، وولاية البنغال الغربية التي عاصمتها كلكتا والمطار الذي سننزل فيه بعده وهو مطار (دكا) واقع في البنغال الشرقي كما كان يسمى في زمن الانكليز، ثم صار يسمى باكستان الشرقية بعد تقسيم القارة الهندية بين الهند وباكستان.

ثم أصبح اسمه (بنجلاديش) التي معناها (بلاد البنغال) بعد أن انفصل عن باكستان وأعلن نفسه دولة مستقلة كما سبق وكان من الناحية التاريخية جزءاً من البنغال ولايزال من الناحية اللغوية كذلك.

وبذلك تكون الحركة كلها داخل منطقة واحدة هي المنطقة البنغالية من الهند القديمة غير أن اغلبية السكان في البنغال الشرقي الذي أصبح يسمى الآن «بنجلاديش» تدين بدين الإسلام ولذلك صار جزءاً من باكستان بعد تقسيم الهند إلا أن سوء الإدارة الباكستانية وغلبة الثقافة الهندوكية البنغالية التي من اهمها كون اللغة البنغالية هي السائدة في تلك المنطقة واستغفال الأهالي الذين خدعوا بالوطنية البنغالية، وقيام الهند الحاقدة على الإسلام، والمعادية لباكستان وتأييد القوة الخارجية بل اجتماع القوتين الخارجيتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على تأييد الهند ضد باكستان كل ذلك جعل هذا الجزء الغالي من الوطن الباكستاني أو قل من الوطن الإسلامي الكبير في القارة الهندية ينفصل عن شقيقه باكستان الغربية ويقلب اسمه إلى الاسم الهندي القديم : بلاد البنغال.

وبذلك اصبح أهله تحت رحمة الهند تؤثر فيهم ما ارادت ان تؤثر سواء بالتأثير الباطن أو الظاهر.

قامت الطائرة الهندية من طراز بوينج ٧٣٧ من مطار كلكتا في الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين واعتذرت عن هذا التأخير بلسان مضيفتها - كما هي عادتها - واعلنت المضيفة أن الرحلة ستستمر ثلاثين دقيقة اي : نصف ساعة فقط بين المدينة البنغالية الكبيرة الهندوكية (كلكتا) وبين المدينة البنغالية الصغيرة المسلمة (داكا) التي يبلغ من صغرها أن سكانها لايزيد عددهم على مليونين من البشر إلاّ زيادة طفيفة ربما كانت مائتين أو ثلثمائة ألف من السكان وهذا هو شأن الهند وهذا من عجائبها فالبشر يعدون بالملايين وحاجاتهم أو ما يكتفون به من الدنيا من حاجات تعد بالالآف إن صح هذا القياس وهو صحيح بالنسبة إلي غيرهم من البشر في البلاد التي تعد متقدمة في النواحي المادية.

نهضت الطائرة والشمس قد قاربت المغيب إذْ تغيب في كلكتا في هذه الايام من فصل الشتاء الذي هو بفصل الصيف اشبه في البلاد العربية الشمالية في الساعة الخامسة.

وكان أهم ما يلاحظه المرء وهو ينظر بعينه بعد أن استقلت الطائرة عن الأرض وقبل أن ترتفع كثرة المياه في الأرض التي هي تشبه الفيضانات وكثرة المجاري وكثرة العمارة، بل العمارة المطبقة.

ثم ارتفعت الطائرة فأصبحنا نرى ما يشبه الدخان على الأرض اعتقد أنه ناشئ عن كون معظم الأهالي يوقدون على عشائهم بالحطب إذ هو الوقود الرئيسي عندهم.

وكانت ضيافة الطائرة كيساً صغيراً فيه قليل من النُّقْل المسمى (كاجو) ومعه كأس من عصير الفاكهة وذلك أمر معقول بالنسبة إلى هذه المسافة القصيرة.

وعندما بدأت الطائرة بالتدنى إلى الأرض مقتربة من مطار داكا ظهرت المستنقعات ومسايل المياه والأنهار أكثر وأوضح منها في الهند فأنت إذا رأيتها خُيل اليك انك تشرف على أرض قد غمرها الفيضان.

مطار داكا :

نزلت الطائرة فيه وسط جو لطيف ألطف من جو كلكتا لاتحس فيه شيئاً من الحر مطلقاً وكان أهم ما لفت نظري في بناء المطار كتابة عليه بالعربية «مطار داكا الدولي» وعليه العبارة نفسها بالإنكليزية، وكتابة بالبنغالية ربما كانت كذلك ولا أدري هل ذلك قبل الانفصال عن باكستان أو بعده اي كتابة هذه العبارة بالعربية.

أول مادخلنا مبنى المطار رأينا عند بابه الداخلي رجلاً يعطي بطاقات للجوازات ورجلاً آخر يعطي بطاقات اصغر متعلقة بالصحة.

وعندما ملأت البطاقات ورآها الموظف ابتسم مستغرباً ولكنه لم يقل شيئاً ومصدر استغرابه هو قلة السعوديين القادمين إلى هذه البلاد.

وصلت إلى موظف الجمرك ورأى جوازي سياسياً وحقيبتي كبيرة ثقيلة أشار إليها قائلاً: ماذا تحتوي؟ فقلت: كتباً وأوراقاً وثياباً لي خاصة، والحقيقة أن الأمر صحيح فالثياب لمثلي مشكلة إذ عليَّ أن آخذ معي ثياباً عربية كافية بما فيها العباءة للحفلات والمقابلات الرسمية وعليَّ أن آخذ معي ثياباً افرنجية لغير ذلك فرسم عليها علامة التفتيش ومضيت.

كانت المشكلة ليست مشكلة النقل فقد التف عليّ طائفة من الناس ينادون: تاكسي، تريد تاكسي؟ ولم استطع أنا ولا الرجل الذي يحمل أمتعتي أن نتجاوزهم إلاّ بصعوبة، وبعد أن قلت لواحد منهم؛ نعم تاكسي، حمل حقيبتي اليدوية وأزاح المتجمعين عن الطريق وكان قد قال لي اتريد تاكسيًا، صغيرًا أم كبيرًا؟ ولما كنت وحدي قلت له: بل صغير فوصلنا إلى (تاكسيه) وإذا به عربة من عربات الركشا ولكنها كالموجودة في باكستان والصومال وعدد من البلدان بل حتى في سوريا هي موجودة وان كانت لاتستعمل لحمل الناس وهي العربة النارية ذات العجلات الثلاث اثنتان في المؤخرة وواحدة في المقدمة وفيها صفان من المقاعد احدهما الأمامي يتسع لراكب واحد، والثاني الخلفي يتسع لثلاثة أشخاص.

ولم استطع الانفكاك منه وقلت : لاجرب هذا (التاكسي) الصغير كما قال، والوقت ليل، ولا أحد يعرفني وظننت في ذهني أن ركوب مثل هذه العربة مما ينزل من قدر المرء في نفوس من يرونه ولكن تبين بعد ذلك أنه مما يشرفه بالنسبة إلى العربة الأخرى الهوائية التي يقودها الرجل برجليه والتي هي بطيئة الحركة.

ولم يكن معي عملة بنغالية، فسألت السائق أن يعطي الحامل خمس روبيات فقال: خمس تاكات فقلت: نعم وأنا لا أدري الفرق بينها وبين الروبيات إلاّ أنني حسمت الأمر مع السائق بأن عليه أن يوصلني إلى فندق انتركونتنتال بعشرة تاكات فقبل.

وانطلق السائق بعربته وسط شارع عريض جميل، وبين مارة هم ومن في المطار إذا قارنتهم بمن يفترض انهم من جنسهم من البنغاليين في كلكتا رأيت هؤلاء انظف ثيابًا، وأبدانا، وأكثر صحة، وأندى اجسامًا، وهذا الشارع لايوجد له نظير في كلكتا من حيث النظافة والتنسيق والذوق الفني.

وسرعان ما وصل السائق إلى الفندق فاعطيته زيادة خمسة تكات على حقه فشكر ذلك وقال: السلام عليكم.

سألني موظف الاستقبال في الفندق: الك حجز سابق؟ فقلت: لا، فسكت قليلاً ثم اعطاني غرفة في الطابق العاشر وقال عامل الفندق الذي حمل امتعتي إلى الغرفة: من أي بلد أنت؟ فأنت مسلم قلت: أنا مسلم والحمد لله، وأنا عربي فقال: من أي بلاد العرب؟ قلت: من المملكة العربية السعودية: أياتيكم عرب ههنا؟ قال: أما من السعودية فلا وأما من بلد كذا، وبلد كذا، وذكر بلدين عربيين فإنهم يأتوننا ولكنهم ليسوا طيبين وزم شفيته علامة الاشمئزاز وهو يقول: إنهم يشربون الخمر.

واسرعت إلى النزول في الفندق لرؤية ما فيه، فإذا بي أول ما أرى عدة حوانيت منها مكتبة ومكاتب لشركات الطيران ومكاتب سياحية ثم حانة اي: بار كتب عليه أنه يغلق يوم الجمعة.

ثم رأيت بركة للسباحة ليس فيها سابحون لأن الوقت ليل وإنما احاطوها بأنوار جميلة نثرت بينها الموائد وعلى بعضها أناس يأكلون واردت الدخول لتناول شيء خفيف من الطعام في هذا الهواء الطلق ولكن رجلاً عند الباب اعترضني قائلاً: أأتيت هنا لتتعشى؟ فقلت له: إنني أريد أن آكل شيئًا خفيفًا: فقال ذلك يكون في (كوفي شوب) أي في المقصف وان كانت ترجمتها الحرفية حانوت القهوة.. ولكنها تطلق اصطلاحا على المقصف الذي يقدم مأكولات خفيفة على مدار الوقت أو أكثر الوقت من الليل والنهار.

وكان ذلك في حانوت القهوة.. وطلبت سمكا وبطاطس مقليًا فجاؤا به سخيًا لا كما هو في الهند مقتر فيه تقتيرا وكان ثمنه مع حساء أي شربة من شراب الخضروات (٤٠) تاكا والتاكا ولا أدري حتى الآن اهو مذكر أم مؤنث، يساوي الروبية السيلانية تماما بدون زيادة ولانقص ذلك ماعرفته اليوم من البيان الذي رأيته معلقًا في الفندق لبيان صرف العملات الرسمية فالدولار الأمريكي يساوي خمسة عشر وزيادة قليلة والجنيه الاسترليني يساوي ثلاثين تاكا وعلى هذا يكون الريال السعودي بحوالي خمسة تاكات وتكون هذه الوجبة الخفيفة السخية بثمانية ريالات في هذا الفندق الذي جميع من فيه من الاجانب من الأوروبيين والأمريكيين وقليل من اليابانيين.

يوم الخميس ١٤ محرم ١٣٩٩هـ ١٤/١٢/١٩٧٨م

في السفارة السعودية :

رغم كون السفارة قد تلقت برقية من رابطة العالم الإسلامي بأنني سوف اصل، ورغم كون السفير السعودي هو الاستاذ/ فؤاد الخطيب وهو صديقي وكان ممثلاً لوزارة الخارجية في اللجنة التحضيرية للدعوة التي تنعقد برئاسة الأمين العام للدعوة وأنا أشغل هذه الوظيفة وذلك قبل أن يكون سفيرًا في هذه البلاد فإنني لم ابرق له بوصولي إلى داكا لأنني لا أحب أن اتعب احدًا من جهة ولأنني احب أن أرى الناس كيف يستقبلون المسافرين القادمين إلى بلادهم دون تصنع أو مجاملة لشخص دون شخص من جهة أخرى.

وفي هذا الصباح ركبت سيارة أجرة ووصلت السفارة فوجدت بابها مغلقًا وعليه من الخارج جندي حراسة وهذا هو الباب الخارجي وفي الداخل هناك حارس مدني هو شيخ يبدو مسنا بعض الشيء ظاهر ذلك من بياض لحيته، فكلمته من وراء شباك الباب وقلت له: افتح لي فلم يعرف ما اقول إذْ كان لايتكلم الانكليزية ولا العربية فقلت له: أرسل من السفارة من يتكلم العربية فغاب ثم جاء وقد رأيته راجع موظفًا محليًا ومعه ورقة صغيرة قال: يقول لك الموظف: اكتب اسمك في هذه الورقة، فقلت له: لاضرورة لذلك بل خذ جوازي وأره المسؤول، فأخذه ثم عاد وقال: اذهب مع الباب الآخر ففتح لي واستقبلني رجل بنغالي يتكلم العربية بصعوبة، ورحب بي.

ولما سألته عن السفير قال: إنه سافر إلى المملكة منذ يومين، قلت له: ومن القائم بالأعمال في غيابه؟ قال؛ هو علي محمد الشاذلي، قلت: هذا جيد أخبره بوجودي فهو يعرفني وتذكرت أنني قد تعرفت عليه منذ ثمان سنوات وذلك في عام ١٣٩٠هـ عند ما امر الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله بأن اذهب ممثلاً للمملكة في المؤتمر الأول للمنظمات الإسلامية في أمريكا الجنوبية الذي عقد في البرازيل وأن ينضم إليَّ عضو من السفارة السعودية في فنزويلا وكانت هي السفارة الوحيدة للمملكة في أمريكا الجنوبية في ذلك الوقت فأرسلت السفارة الأخ علي محمد الشاذلي هذا فلبثنا معا فترة في البرازيل تعارفنا خلالها ولم اره بعد تلك المدة

وقال الموظف: إنه غير موجود الآن لأنه في زيارة لوزارة الخارجية وسيأتي بعد قليل.

وبعد قليل عاد، ولما أخبره بقدومي جاء جزاه الله خيراً، ورحب وقال: لقد جاءتنا برقية بأن ننتظر برقية من مدراس وكلكتا تحدد موعد وصولك حتى نستقبلك في المطار فكيف تأتي وحدك ولا تخبرنا؟ حتى المرافق الذي سيرافقك في هذه البلاد قد عيناه قبل وصولك واخبرناه ليكون في استقبالك في المطار.

فشكرته وقلت له: لاداعي لكل هذه الشكليات والمهم أنني وصلت ورأيتكم وأرجو أن أرى ما تهمني في هذه البلاد رؤيته ولو كان ذلك خلال أيام ثلاثة، إذْ لا استطيع أكثر من ذلك.

ثم وضع الأخ علي برنامجاً للزيارة لطيفاً يشتمل على ما اريد الاطلاع عليه وبخاصة السفر إلى أقصى الحدود الجنوبية الشرقية مع بورما والاطلاع على احوال المسلمين البورميين الفارين من بورما إلى البنغال المسلمة ثم قال: وهذه السيارة مع سائقها تحت طلبك.

تدارسنا الأوضاع العامة في هذه البلاد بصفة عامة والأوضاع الإسلامية بصفة خاصة وكان حاضراً من السفارة الأخ حمزة.

وبعد ذلك عدت إلى الفندق على أمل البدء في تنفيذ البرنامج المقرر وكان الطريق بين الفندق والسفارة يبلغ حوالي ٨ كيلات كله داخل ضواحي مدينة داكا إلا أن تلك الضواحي متفرقة متباعدة وليست بيوتاً متلاصقة حتى إنه كان يوجد بينها بعض المستنقعات التي تحفل بالمياه ويزرع في اجزاء منها الأرز ويربى في أجزاء منها السمك وهذه المستنقعات تتألف من حفر واسعة اعدت لهذا الأمر وهي في الحقيقة جزء من المستنقعات الشاملة التي تحيط بالعاصمة، وتغطي مساحة كبيرة من أرض البنغال القريبة من البحر.

أما الطرق التي مررنا بها فإنها جيدة جداً بالنسبة إلى الطرق الموجودة في الضواحي الهندية للمدن الرئيسية ولا يفضلها إلا أجزاء معينة في مدينة دلهي العاصمة وسوف نلاحظ أن الأحياء الحديثة من مدينة داكا العاصمة احسن من الاحياء الحديثة في المدن الهندية.

مع رئيس جمعية المساجد :



الدكتور مستفيض الرحمن مع السفير السعودي

بعد الغداء مباشرة كان يزورني في الفندق شخصان أحدهما الدكتور محمد مستفيض الرحمن وهو استاذ في قسم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في جامعة داكا ورئيس جمعية المساجد في بنجلاديش وتسمى «بعثة المساجد» وهو الذي عينته السفارة ليكون مرافقًا لي في داكا وما حولها وقد جاء كما يقول للسلام والعمل في كيفية تنفيذ البرنامج والثاني الأخ مير قاسم وهو مندوب لرابطة العالم الإسلامي في تنفيذ اعمال إغاثة اللاجئين المسلمين البورميين في بنجلاديش وأهم مايريد بحثه هو تفصيل برنامج زيارة المنطقة الجنوبية الشرقية والحدود البورمية وكنت قد وافقت أولاً على أن تكون الزيارة بالسيارة لأن المسافة كلها لاتزيد على مائتي كيلو متر ولكنهم قالوا إن السيارة لاتستطيع قطع هذه المسافة إلا في ثمان ساعات، وإن الطريق متعب وليس كطرق المملكة ووصفوا حاله بما عرفته من حال الطرق الهندية فعدلت عن ذلك إلى طريق الجو على أن اخترق المسافة في الإياب من بلدة كوكس بازار إلى مدينة شيتا كنج بالسيارة حتى يمكني الإطلاع على طبيعة

الأرض والسكان ويكون ذلك كافياً بمثابة الأنموذج لغيره، وقال لي الرجلان وقبلها قال لي إخواني في السفارة إنك إذا صبرت على قطع هذه المسافة من تلك البقعة النائية في بنجلاديش فإنك تعتبر ذا حظ عظيم من الصبر.

جولة في مدينة داكا :

كانت الجولة بسيارة السفارة وهي سيارة جديدة من طراز (مرسيدس) مكيفة الهواء مع أن الهواء هنا معتدل لأن الفصل الآن فصل الشتاء فنحن قد فارقنا البلاد الاستوائية أو القريبة من خط الاستواء منذ أن فارقنا مدينة مدراس في الهند، إلا أن الجو هنا مع ذلك ليس بارداً وإنما شتاؤهم هو الذي لايكون فيه حر وهو شبيه بجو كلكتا إلا أنه أكثر جفافاً والطف نسيما وذلك لبعد داكا عن البحر ولارتفاعها ارتفاعاً نسبياً بالنسبة إلى كلكتا.

بدأت الجولة من منطقة قرب فندقنا فندق (انتركونتيننتال) وكان سائق السيارة واسمه محمد إبراهيم وهو من أهل البلاد ويجيد الانكليزية يشرح لي كل مايحتاج إلى شرح وقد مررنا بعدة مستشفيات ثم بالمكتبة العامة وبعض مباني جامعة داكا ثم مساكن الطلاب والمدرسين فيها.

وقد بهرني في هذه المدينة الإسلامية مستوى النظافة العامة فيها والذوق العالي في تخطيط شوارعها وتنسيق حدائقها، والمباني الحديثة البهيجة المنظر التي لايكاد يوجد لها مثيل في كثير من المدن الهندية، وبخاصة إذا قورنت بمدينة كلكتا التي هي من البنغال الذي ينتمي إليه أهل هذه البلاد من حيث الجنس واللغة إلا أنهم يبتعدون عن أولئك من حيث الدين وحتى من المظهر فهؤلاء المسلمون أنظف ثياباً واصح أبدانا، وأكثر نضارة حتى إنك تستطيع أن تقول فيهم بالنسبة إلى بنغال كلكتا ما تقوله في بنغال كلكتا بالنسبة إلى باقي الهنود وهو أنهم منهم ولكن هناك فروقا بينهم وبينهم لاتخرجهم عن أن يكونوا منهم.

ثم مررنا بمجمع حكومي للوزارات وهنا لابد من أن يلفت نظر السائح العابر كثرة عربات الركشا ولكنها ليست كعربات الركشا في كلكتا تلك يجرها آدمي يسير على قدميه وهذه في داكا يحركها آدمي راكب على الدراجة المعتادة أو هي عربة عادية دون محرك ولكنها ذات ثلاث عجلات يركب فوق الامامية اي التي هي

الوحيدة رجل يحرك الدراجة بقدميه ويركب في الخلف الذي يقع فوق العجلتين الخلفيتين راكبان تظلهما مظلة واقية من الشمس تطوى عند عدم الحاجة إليها وهي هنا كثيرة جداً وبجانبها عربة الركشا ولكنها التي تسير بمحرك هو محرك الدراجة النارية لأنها هي الدراجة النارية أعدت اعداداً لهذا الغرض.

وواصلنا الجولة في هذه الشوارع البهيجة المنسقة من المدينة الحديثة في داكا وسألت السائق أهذا كان من زمن باكستان؟ أم حدث بعد الانفصال؟ فأجاب: لا كله كان من زمن باكستان.

قلت ذلك لأنني لاحظت أن بعض التنسيق عليه ملامح ذوق الشرق الأوسط الذي هو موجود في باكستان على مقدار معين ولكن يلفت النظر أن اللغة التي تكاد تكون هنا وحيدة هي اللغة البنغالية بحروفها السنسكرتية غير المتناسقة فيما يظهر للناظر الغريب عنها، ولايشاركها مشارك إلا الفاظ قليلة من الانكليزية مثل ما يكون لدينا في الرياض بالنسبة لكتابة بعض اللافتات بالانكليزية إلى جانب العربية، وهذا أمر تفارق في بلاد البنغال هذه شقيقتها في الاسم واللغة البنغال الهندية لأن اللافتات في كلكتا تكتب باللغتين البنغالية والانكليزية وأحياناً كثيرة تكون الكتابة بالانكليزية وحدها أما بقية المدن الكبرى في الهند فإن اللغة الانكليزية لاغنى عنها مطلقاً في كتابة اللوحات واللافتات لأنها هي اللغة الوحيدة التي يشترك في دراستها ومعرفة شيء منها كل المتعلمين من أهل البلاد، ولم تستطع اللغة (الهندية) الوطنية وهي مأخوذة من السنسكرتيية القديمة أن تحل محلها إلا على نطاق محدود وفي ولايات محدودة.

وقلت للسائق اريد ان اقف في سوق صغيرة لأرى المعروضات فأوقفني في سوق عند مسجد يسمى (بيت المكرم) ولم أدخله لأن زيارته موجودة في البرنامج غداً بصحبة الدكتور مستفيض الرحمن، وإنما دخلت السوق وإذا بالمؤذن يؤذن بمكبر الصوت بصوت جهوري شجي لا لكنة فيه ولاتحريف.

ودخلت السوق فإذا بي اتيقن ان البنغال هذه التي رضيت أو رضي القائمون على امرها بأن تنفصل عن باكستان ليست من البلاد السعيدة في الصناعة والانتاج الزراعي المتعدد الجهات فهذا السوق ليس فيه من صناعات البلاد ولا من انتاجها

الزراعي شئ إلا القليل ومعظم الذي فيه هو انتاج خارجي مستورد حتى اليوسفي الجيد سألت عنه فأجابوا أن الواحدة بتاكين اثنين وذلك لكونه يستورد من باكستان أو الهند، وكيف يذوقه الناس وهم فقراء وهو بهذه المثابة في الغلا؟

وذلك أن تتصور أن المشوار المتوسط الذي يحملك فيه صاحب العربة (الركشا) إذا كانت عربة من العربات النارية هو بخمس تاكات وإذا كانت عربة عادية هي بتاكين وطبيعي أنه ليس ملزماً بأن يشتري يوسفيا أو برتقالاً، وأن هناك فاكهة محلية يمكنه أن يستعيض عنه بشرائها مثل الموز الذي يوجد في جميع فصول السنة ومثل المانجو التي توجد في فصل الصيف إلا أن ذلك وإن لم يكن غالياً مثل البرتقال المستورد واليوسفي فإنه ليس رخيصاً بالنسبة إلى مستوى الدخول في هذه البلاد.

وكان مما مررناه عندما استأنفنا الجولة ميدان تتوسطه نافورة على شكل زهرة كبيرة متفتحة بيضاء واوراقها خضراء وارصفة ممتازة وأشياء من المباني والشوارع قل أن يوجد مثلها سواء في اصل تخطيطها أو العناية بها في الهند وقالوا لنا إن كل هذا كان من زمن الاشتراك في الوحدة مع باكستان، ولم يعمل شئ منه بعد ذلك وذلك بأن البلاد لم تنعم بالاستقرار والالتفات إلى تنسيق البلاد وتنظيمها منذ الانفصال إلا منذ سنة واحدة لأنها كانت مشغولة بالاضطرابات السياسية وقتل المخالفين ثم القتل المضاد إلخ.

وأردت أن ادخل البلدة القديمة فقلت للسائق لقد اريتني المدينة الحديثة المنسقة التي يحق للبلدة أن تفتخر بها على مدن الهند الأخرى وبخاصة على البلدة الكبيرة المجاورة (كلكتا) فماذا حول القسم القديم من مدينة داكا؟ فأجاب إنه ليس طيباً إنه ليس مثل هذا فقلت له: إنني أريد أن اراه فقال : لك ذلك.

فكان أول ماوصلناه على حدودها أي حدود القسم الحديث من القسم القديم محطة لحافلات الركاب وقد ازدحمت فيها وحولها إلى جانب الحافلات اعداد هائلة من عربات الركشا العادية قد سدت الشوارع وإذا بالصخب والاصوات قد اختلطت وإذا بالمرور صعب على من يسير على قدميه فكيف بمن يسير على سيارة جديدة يخشى عليها من العربات وعلى هذه العربات منها.

ولم يكن بد من أن يستعمل السائق بوق سيارته باستمرار ، ويتأنى في مشيته حتى يستطيع أن ينفذ من بين هذا الجمع من عربات الركشا المعتادة التي تنحت عنها حتى العربات الأخرى من الركشا المتخذة من الدراجات النارية وإذا بي أرى سيارتنا تكاد تكون السيارة الوحيدة في هذا الطوفان (الركشاوى) إن صح التعبير لأن هذه العربات هي وسيلة الانتقال الشخصي المفضلة عندهم فهي رخيصة الثمن وسهلة الاستعمال ولاتتطلب وقوداً وتدخل في كل مكان ، وقد خصصت لها الدولة طريقاً جانبياً في شوارع القسم الحديث من المدينة لما لها من اهمية ولما هي عليه من الكثرة .

ودخلنا في معمعة المدينة القديمة ودخل معنا إليها طوفان عربات الركشا والدراجات المعتادة التي تؤجر كما تؤجر السيارات عندنا للركوب .

وإذا بالمدينة القديمة تتألف من بيوت كلها مبنية بالآجر أو بالأسمنت وليس فيها شيء مبنى بالقش أو الأكواخ واغلبها من طابق واحد وفيها ماهو من طابقين ، وأكثر مافيها بروزاً المساجد وأكثرها قديم البناء مبنى بالحجارة المنقوشة وعلى طراز إسلامي عريق وليس كيف ما اتفق .

وفي هذه المدينة القديمة اختلط طوفان الدراجات المعتادة وطوفان الآدميين فإذا بجوانب الطريق تزدحم بالشعب الاصيل الذي لا اثر فيه للتفرنج أو التغرب فالشعب هو الشعب الأصيل القديم المحتاج ولكن والحق يقال كلهم من نظيفي الثياب نظيفي الابدان ذوي الأدب فيما بينهم وفي معاملتهم للغريب .

ولايشذ عن قاعدة النظافة في الابدان إلا العاملون في بعض المهن وقد رأينا في هذا القسم القديم عربات قليلة من التي تحمل الأثقال ويقوم بسحبها الرجال من الحفاة المتسخي الثياب كما في كلكتا ولكن على نطاق ضيق جداً .

أما العربات التي يسحبها الرجل بالركاب على قدميه فلاتوجد اصلاً هنا كما لاحظت أيضاً هنا على ندرة استعمال عربات الثيران لحمل الاثقال كما هي مستعملة في الهند .

وأما نظافة البلدة القديمة فإنه أيضاً ملفت للنظر إذْ قلَّ ان يوجد له مثيل فيما يسمى بالاحياء الشعبية في المدن الهندية فهذه أنظف واطهر وهم به أكثر عناية.

ومررنا بسوق فيه بعض الخضروات وهي ليست كثيرة كما قلت مما يدل على أن الأهالي لايعتبرونها مهمة في الغذاء وإنما يعتمدون كل الاعتماد على الارز والسمك فإذا بمعروضاته هي الموز والاناناس وثمار النارجيل فشربنا من ماء النارجيل كل واحدة بروبيتين أو تاكين، تثنية (تاكا) وهو عملتهم الوطنية وتعادل نصف الروبية الهندية.

وفي بعض الحوانيت توجد البضائع القديمة مثل حوانيت تبيع الحطب وقد رأيت بعض الاشخاص يشترون مقادير قليلة منه يحملونها على ايديهم هذا مع العلم بأن الغاز متوفر في هذه البلاد وأن أكثر الأبنية الهامة والبيوت الحديثة مزودة به بواسطة الانابيب منذ عهد الحكم الباكستاني.

وهناك الصناعات اليدوية القديمة التي في حوانيت الحدادين والنجارين، ولم استطع الوقوف عليها والاطلاع على اعمالهم فيها بسبب الزحام وضيق الوقت وإن كان يظهر عليها من البعد أنها بسيطة غير متقنة فليست مظاهر الصناعات القوية أو الدقيقة موجودة لديهم.

وكان همنا الآن أن نخرج من القسم القديم من مدينة (داكا) المزدحم ولكنه ليس مزدحماً بالسيارات بل إن أقل مافيه هي السيارات بل لقد كنا في شارع لم نستطع السير فيه وإذا بي اتأمله فأجد أن سيارتنا هي السيارة الوحيدة فيه، وإنما الزحام من المشاة ومن هذه العربات العادية المعدة للركوب بالأجرة.

حتى وصلنا إلى حي اسمه «قاضي علاء الدين رود» فوقفنا ولم نستطع المرور مما اضطر السائق أن يعود أدراجه من الشارع الذي كان فيه إلى شارع آخر يتطلب الخلاص من هذا المكان.

وفي هذا المكان الواقع على حدود القسم القديم من القسم الحديث من مدينة داكا حيث يتشابك الناس في الزحام رأينا سيارة فيها مكبر للصوت يتكلم بلغتهم البنغالية بحماس وكأنه يعلن عن شيء فسألت عنه فقالوا إنه سياسي أي لأحد الاحزاب السياسية لأن الانتخابات العامة ستبدأ عندهم في شهر يناير القادم.

المرأة في داكا :

من أهم ما يلفت نظر القادم من الهند إلى هذه البلاد أو حتى من باكستان الغربية الفرق الواضح بينهما وبين داكا في موضوع المرأة وخروجها في الشوارع فهي تكاد تكون غير موجودة أصلاً بل إنه ظهر لي من خلال هذه الجولة أن خروج المرأة في داكا رغم الاستعمار الانكليزي الطويل هو أقل من خروجها في بلادنا في الرياض مثلاً وإن كان خروجها في الرياض يكون وهي متحجبة فهي هنا لاتخرج اصلاً وإن خرجت وهذا قليل نادر فانها قد تكون متحجبة والحق يقال أنني في خلال هذه الجولة السريعة التي شملت بالسيارة انحاء واسعة من مدينة داكا ونزلت خلالها أتمشي في احد اسواقها الشعبية لم أر أمرأة واحدة يظهر أنها من أواسط الشعب وإنما رأيت عدداً محدوداً من النساء عرفت أن بعضهن ينتمين للأقلية الهندوكية التي تبلغ نسبة افرادها حوالي ١٢٪ عرفت ذلك من نقطة الصبغ الأحمر الذي تضعه الهندوكية على جبهتها بين عينيها.

وكنت أود أن أرى نساء هذه البلاد من باب المقارنة بين مظاهرهن ومظاهر النساء الاخريات فلم أجد ذلك إلا في موضعين أحدهما: مطعم الفندق الذي فيه بعضهن وهن قد لبسن لباساً كلباس الباكستانيات قميص طويل يضرب إلى حوالي الركبة وسراويل يصل إلى الكعبين إلا أن سراويلهن ليست واسعة كسراويل الباكستانيات، والآخر مطار داكا.

كما أنني رأيت بعض البنيات الصغيرات في القسم القديم من المدينة وكان عددهن محدوداً جداً هو أقل بكثير مما يراه المرء في مدن المملكة من البنيات الصغريات أيضاً اضافة إلى بعض القرويات أو الفلاحات اللاتي رأيتهن يمشين غير متحجبات على أطراف المدن وبعدد محدود أيضاً.

والذي رأيته منهن لايدل على أن نساء أهل هذه البلاد كنساء باكستان أو بعض النساء في شمال الهند، على أن هذا يكون إذا فرض أن اللاتي رأيتهن يعطين صورة صادقة عن الباقيات.

وهذا من اعجب العجب أن يحافظ هؤلاء الأخوة، أو قل: أن يستطيعوا أن يحافظوا على هذا القدر من عدم خروج النساء من المنازل في الوقت الذي كانوا

فيه تحت الاستعمار الانكليزي ثم في الوقت الذي كانوا فيه مشتركين في الحكم مع باكستان التي لاتمنع خروج النساء إلى العمل والشوارع فيها. على حين أن اهل بعض البلاد العربية قد أخذوا يتسابقون إلى تقليد الغرب تسابقًا حتى وصلوا إلى مضماره في هذا المجال وربما فاقه بعضهم فيما يضر ولم يلحق به فيما ينفع فالعاملات من النساء فيه لسن كالعاملات من النساء في الغرب من انتاج ينفع البلاد ولكنهن في الإنطلاق والسفور لايقصرن عنهن باعًا.

اللباس :

لباس النساء اللاتي رأيتهن وهم يعملن قد وصفته وأما النساء القليلات اللاتي رأيتهن في الشارع فهو اللباس الساتر الطويل الذي يستر البدن كله.

وأما الرجال فإن لباسهم الأغلب الاعم هو الفوطة التي تلف حول الخصر حتى تصل إلى الكعبين من الاسفل ومن فوقها قميص عادي.

وفي بعض الاحيان وهذا قليل جدًا يكون اللباس القميص والسروال الافرنجي.

في بعثة المساجد :

هكذا اسموها وهذا هو اسمها الذي وضعوه بالعربية على اوراقها ورئيسها هو الدكتور محمد مستفيض الرحمن وهو استاذ اللغة العربية في جامعة داكا.

كان موعد زيارتها هو الساعة السادسة والنصف من بعد المغرب وكان المقرران يأتي رئيسها الدكتور مستفيض الرحمن إليَّ في الفندق ليصحبني بسيارة السفارة لأن السيارات هنا قليلة عند الأفراد بل نادرة حتى الجمعيات لايملك اكثرها سيارة.

وعندما حضر الدكتور مستفيض الرحمن لم يكن سائق السيارة قد حضر فقلت له: لامانع من أن اركب في عربة الركشا التي هي دراجة نارية في الاصل فقال، ياشيخ أنت ذو مقام وتركب هذه؟ قلت: وماذا اصنع؟ اعندك سيارة؟ فقال: لا، قلت : يا أخي، الرسول ﷺ ركب حمارًا واردف معاذًا خلفه وليست الركشا بأقلَّ شأنًامن الحمار، ولنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة فأعجبه ذلك وقصه على رفاقه عند ما وصلنا مقر الجمعية.

هذا والجمعية دينية خيرية قائمة على إغاثة المصابين وتفريج الكربة عن المكروبين بحسب طاقتها، وما تصل إليه استطاعتها و(لايكلف الله نفساً إلا وسعها).

وذكر القائمون على أمرها أنها تعمل على إنشاء مجتمع إسلامي ذي اخلاق فاضلة، وخصال ناصحة - على حد تعبيرهم - بواسطة التبليغ الصافي، والتعليم الخالص عن كل نقص وشائبة.

وهي توقن حسبما ذكروه في ورقة سجلوا فيها أهدافهم بأن مجتمعاً عادلاً ذا أخلاق نقية هو وحده يهدي القوم والملة إلى الرقي والسلام قال الله تعالى: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾ إن سيد الكونين ﷺ أرسله الله تعالى ليجعل كافة الناس أمة واحدة ذات أخلاق فاضلة ومواساة فردية واجتماعية ذلك هو كتاب الله الحكيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إلى أن جاء في ورقة البعثة مايلي: إن المسجد هو الذي كان أيضاً مدرسة لدراسة الزهاد والأئمة والحكماء والأدباء والصناع وأمثالهم.

ونظراً إلى هذه المقاصد الحسنة والأهداف الرزان أقيمت هذه المؤسسة في جمهورية بنجلاديش الشعبية في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٧٣م.

ولاشك أن المقصد الأهم الذي تبذل لأجله المناصحة لبنجلاديش الشعبية التي هي ثانية أكبر البلدان الإسلامية وكذا مواطنوها المتدينون الصالحون.

ثم عدد البيان المكتوب بالعربية وسائل الجمعية لاداء عملها في تبليغ الدين وتعليمه جاعلة المسجد مركزاً لذلك وبذل كل الجهود للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتقديم المساعدة للجيعان والعريان وعادم الوسيلة، وللأيتام والضعفاء والمساكين والملهوفين وإقامة مراكز لإعانة المرضى وعديمي المأوى، وإقامة المستشفيات بجوار المساجد وبذل الجهود لتقديم القرض الحسن والصدقات والزكاة بين المستحقين.

إلى أن قالوا : وتنظيم المدرسة لتعليم القرآن الكريم لقراءة صحيحة وتدريس المسائل الضرورية للأولاد والأطفال بجوار المسجد، وتنظيم مدرسة ليلية حول المسجد، لتعليم الشبان والكهول والشيوخ المشغولين في النهار بأعمالهم.

وتنظيم مدرسة (نسوانية) حول المسجد لتعليم النساء المؤمنات بمراعاة الحدود الشرعية. وإقامة مكتبة دينية في كل مسجد مشتملة على الكتب والرسائل الإسلامية.

وتأليف الكتب والرسائل على ضوء القرآن العظيم وسنة النبي الكريم وإقامة إدارة لتدريب أئمة المساجد.

يوم الجمعة ١٥ محرم ١٣٩٩هـ ١٥ ديسمبر ١٩٧٨م

في مسرح المأساة :



مساكن المحتاجين والفقراء في بنجلاديش

وهذه المأساة هي مأساة طائفة من ابناء الشعب البنغالي المسلم الذين جاؤا إلى المدن أو كانوا في الأرياف فقراء فابعدتهم حكومة مجيب الرحمن السابقة إلى هذا المكان وتركتهم دون طعام أو مساكن أو مدارس أو عمل يقتاتون منه فأسرعت اليهم الجمعيات المسيحية فبنت لهم البيوت السريعة وانشأت مدارس من القش

وأنشأت أيضاً داراً للاطفال الذين عجز ذووهم عن رعايتهم فتخلوا عنهم أو للذين مات اهلهم بالفعل، وبنت كنيستين في المكان.

كل هذا والمسلمون غافلون أو متغافلون وعاجزون إلى أن قيض الله تعالى نفرا من المثقفين المسلمين من أبناء البلاد فنذروا أنفسهم بالقيام على اغاثة إخوانهم المسلمين وانتشالهم من ايدي الضياع وارشادهم ارشاداً دينياً ألا وهم أعضاء بعثة المساجد فبنوا لهم المساجد وعينوا فيها أئمة للصلاة والوعظ والإرشاد.

وكان من أمرهم ما سأقصه عليك: قال لي الدكتور محمد مستفيض الرحمن: سوف نذهب صباح هذا اليوم الجمعة قبل الصلاة إلى (تونقي كامب) فقلت له: وما هو (تونقي كامب)؟ قال إنه واقع قرب قرية (دكتوبارا) فقلت له لقد زدتني به جهالة ياسيدي فما هو؟ قال: إنه المكان الذي فيه مأساة المسلمين حيث يتولاهم النصارى ولاتحرك الحكومة ساكنا ولايحرك المسلمون ساكنا حيث بدأنا العمل هناك إنني سوف اريك ذلك لأن سفير المملكة العربية السعودية الاستاذ فؤاد الخطيب قد اثنى عليك وقال: إنك رجل نشيط يمكن أن تساعد المسلمين على أمثال هذه المشروعات فقلت له: اسأل الله تعالى أن يقدرني على بذل ما استطيع بذله في هذا الصدد.

وهكذا قمنا في الساعة التاسعة والنصف صباحاً متجهين مع طريق مطار (داكا) الحالي جهة الشمال من الفندق ذلك الطريق الواسع الجيد وبسيارة السفارة السعودية وهي جديدة مكيفة الهواء.

وبعد قليل وصلنا منطقة فيها مسجد جامع ملفت للنظر والمسجد من حيث هو في هذه البلاد لايلفت النظر لأنها بلاد إسلامية عريقة فملك البنغال الذي زاره ابن بطوطة قبل حوالي سبعمائة سنة كان مسلماً وكان ملكه يمتد إلى مسافات واسعة تشمل هذه البلاد التي تسمى الآن بنجلاديش وتشمل غيرها من أرض الهند في الوقت الحاضر مثل ولاية آسام.

ولكن الذي يلفت النظر في هذا المسجد هو طراز بنائه العربي القديم واتساع قبابه والأفنية التي تحيط به فسألت عنه الدكتور مستفيض الرحمن فقال إن ابن بطوطه قد ذكره عندما زار هذه المنطقة، والتقى بملك البنغال لا في داكا نفسها وإنما في بلدة أخرى غير بعيدة كانت هي العاصمة في ذلك الوقت.

فسألته عن اسم المنطقة التي يقع فيها المسجد والتي هي الآن حي من أحياء مدينة (داكا) العاصمة فأجاب أن اسمه (كاروان بازار) فقلت له: إن هاتين الكلمتين من الفارسية، فقال: نعم فكاروان معناها قافلة وبازار معناها سوق وإذاً معناها... سوق القوافل.. لأن قوافل التجار كانت تنزل هناك في القديم.

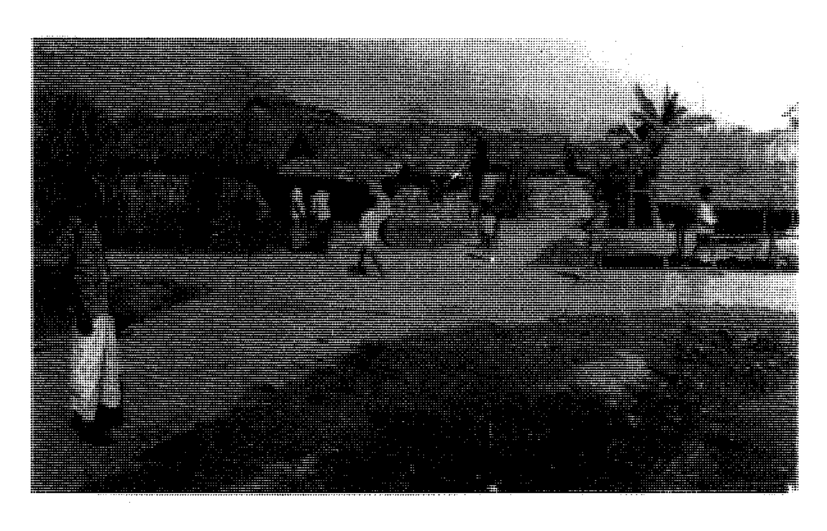
وواصلنا طريقنا إلى (تونقي كامب) أو معسكر تونقي ويبعد لمسافة ٢١ كيلو متراً إلى الشمال من داكا واستمر السير في طريق شبيه ببقية الطرق في الهند الرطبة فأنت ترى الحفر الكبيرة المليئة بالمياه التي نبتت فوقها الاعشاب كما ترى حفراً أخرى قد زرع فيها الارز.

ومررنا بمشروع المطار الدولي الجديد وكله تم بمساعدات دولية وقد انتهى العمل من معظم أبنيته وهو في أرض منبسطة صالحة جداً ليس حولها هضاب أو تلال.

وبهذه المناسبة نذكر أن هذه المنطقة من بلاد البنغال بل إن أكثر بلادهم ليس فيها جبال وإنما هي سهول مغطى جزء كبير منها بالمستنقعات.

ثم وصلنا إلى نهر ليس كبيراً اسمه (شيتاتى) وهذا اسم قديم بدليل ذكر اسم شيتا فيه.

قرية كتو بارا :



بيوت من الحصر والأعواد

بارا في اللغة البنغالية محلة وكتو: اسم فهى محلة كتو إذا وليس هذا المهم وإنما المهم أننا عندما وصلناها شاهدنا القرويين الفقراء المهملين حقا بيوتها بعضها بالحصر والأعواد وبعضها بالصفيح وشيء منها بالآجر المطلى، ورأينا الفلاحات الحافيات اللاتي تنقصهن التغذية وهن ذوات سمرة داكنة ووجوه تلوح عليها الحاجة أو على الاصح يرى المرء الريف الهندي الاصيل هنا إلا أن الهنادك ولباسهم القديم ليسوا موجودين فيه.



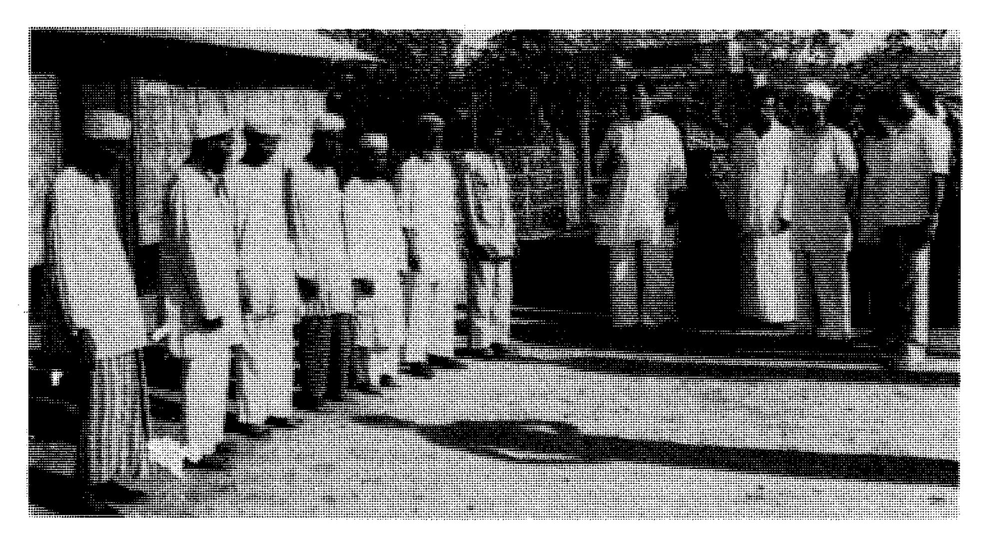
مركز بعثة المساجد

وكان أول ماقصدناه المركز الذي أقامته بعثة المساجد لاغاثة المسلمين في هذه البلدة، والمركز كله ومنشآته هو من الحصر والاعواد فالسور الخارجي كله من عيدان من الخشب ضعيفة يستطيع الرجل غير القوي أن ينزعها بيده ولكن يظهر أن هذا لايخطر ببال أحد لأنهم قوم مسالمون من جهة ولأنه ليس وراءه ما يخفيه من جهة أخرى إذ ليس بداخله ما يستحق أن يؤخذ إلا أشياء عينية ليست مهمة ولا يمكن إخفاؤها.

وكانت غرفة الإدارة فيه أشبه بالخيمة من الحصير والاعواد عليها مكتب خشبي محلي وكراسٍ محلية خشبية وارضها طينية قد تشققت بعد أن طليت بها لأن أرض المنطقة كلها طينية.

ومن غرفة الإدارة خرجنا لرؤية المسجد وهو أيضاً مسجد من الحصير والاعواد إلا أنه قديم اقدم من هذه المؤسسة التي لم تفتتح إلا حديثاً إلا أنهم جددوه اي جددوا ترميمه بالحصر والاعواد.

ورأينا قبراً مُسَوَّى بالأرض لايرتفع إلا أقل من الشبر وقال الدكتور مستفيض الرحمن إن هذا القبر كان في السابق بمثابة الوثن يأتيه الجهال ويتبركون بالدعاء عنده وكان عليه بناء فهدمناه وسويناه بالأرض وفقاً للسنة كما ترى فشكرته على ذلك ودعوت له بالتوفيق.



مدير الزرع سيد نور الحق يدرب المدرسين في المركز

ثم طاف بنا الدكتور يصاحبه ثلاثة من الموظفين المحليين في هذه الجمعية العجيبة بالنسبة إلى هذه البلاد التي جنى عليها أهلها فرأينا فصلين من فصول الدراسة فيهما مقاعد خشبية جيدة وغرفة قال إنها ستكون صيدلية ولكن ليس فيها ادوية ومكانا آخر قال إنه غرفة للتدريب المهني وأراني شيئاً قليلاً من الأوعية التي صنعت من الخوص والاخشاب وقال إننا نساعد الأهالي على أن يكون في ايديهم حرفة يتعلمونها ليعيشوا منها كما يعيش غيرهم.

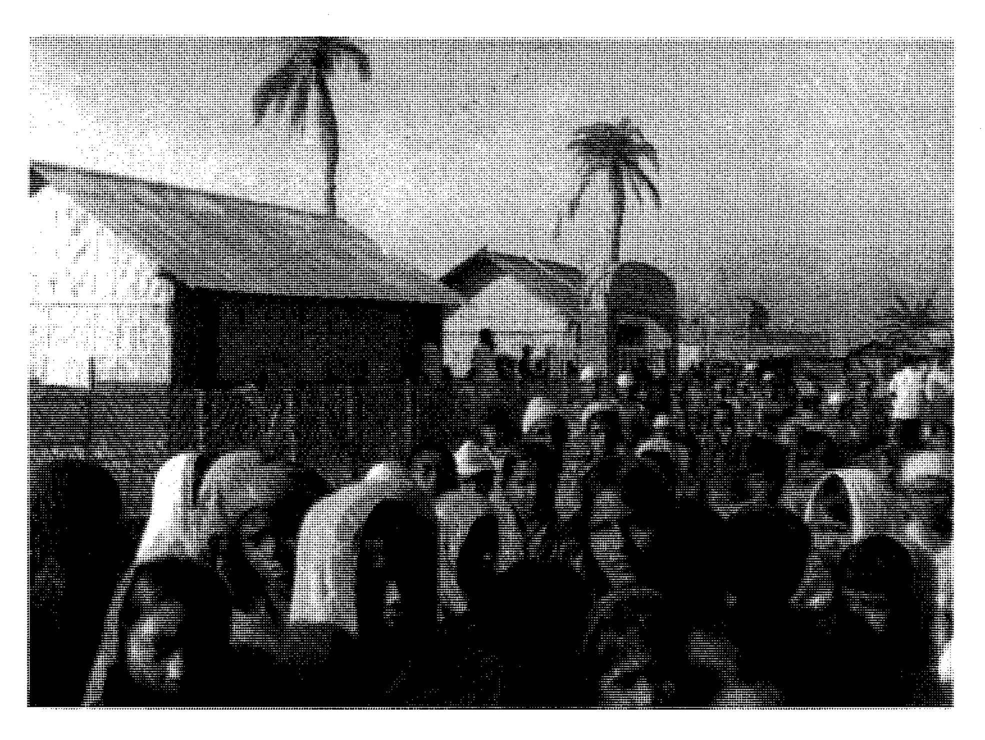
الحي العجيب :

هذا الحي يقطنه اثنان وخمسون الف نسمة من الناس الفقراء الضائعين الذين قال الدكتور مستفيض الرحمن بتعبيراته العربية التي يحفظها من الكتب لأنه لم ينل قسطًا وافرًا من التمرين على التكلم باللغة العربية وهو لايعرف كثيرًا من الاصطلاحات العصرية في اللغة لذلك تجيء عباراته بالنسبة لي غريبة ولكنها حقيقية مثل قوله (هؤلاء كانوا يسألون الناس الحافا) وقوله (أبناء السبيل) يريد أنهم لامساكن لهم ولا أملاك.

وقصتهم فيما عرفت أن حكومة الانفصال التي كان يرأسها مجيب ارادت أن تظهر للناس فيما ارادت أن تخدعهم به أنها تعمل اشياء فجمعتهم من شوارع (داكا) العاصمة وابعدتهم في هذا المكان الذي يبعد عنها بمسافة ٢١ كيلاً إلى الشمال ولكنها تركتهم دون أن تعمل لهم أي شيء بل هي في الحقيقة سهلت عمل المبشرين بالنصرانية الذين وجدوهم محتاجين فاقدين لكل شيء فأسرعوا اليهم بالمعونة والمدارس وغير ذلك، واستمروا يعملون معهم وحدهم حتى خشي بعض المسلمين أن يؤثروا على دينهم وبخاصة الاطفال الصغار والضعفاء والايتام الذين هم عجينة طيعة في ايدي من يربيهم.

وهذا الحي ليس فيه من المرافق شيء ماعدا المياه ففي اركانه صنابير يستقي منها القوم بالأواني ويغسل عندها النساء ثيابهن وثياب اطفالهن، وذلك لأن الماء في هذه البلاد هو ارخص شيء وأيسر شيء، وربما لم تكن الحكومة هي التي زودته بالمياه لأن الدكتور مستفيض الرحمن ينوه دائمًا بأنهم هم الذين قربوا الماء من المسجد للوضوء والاغتسال والحاجات الأخرى لمن يرتادون المسجد.

وشوارعه التي فيها شارع رئيسي تسير فيه السيارات ويتسع لسيارة واحدة وأرضه مفروشة بالآجر بدلاً من الاسفلت والسير عليه صعب جدًا على السيارة.



تلميذات في مدرسة بعثة المساجد

وعلى يمين هذا الطريق وشماله بيوت من الحصير الذي احكم بناؤه بالاعواد والاخشاب الصغيرة وسقف بالحصر أيضًا على شكل مسنم ينزلق عنه المطر في هذا البلاد المطيرة والبيت على شكل غرفة واحدة فقط وقد بنت هذه البيوت للأهالي الجمعيات المسيحية ورأينا بينها بناء بالصفيح والصفيح هناك يعتبر مرحلة متقدمة وهو بناء أو قل (صندقة) جديدة كبيرة منسقة وهي دار الايتام التي انشأتها الجمعيات المسيحية لايتام المسلمين والاطفال الذين لاعائل لهم ينشؤنهم على مايريدون بطبيعة الحال.

وهناك لهم أيضًا مدرسة ذات فناء واسع مبني بالأعواد وصيدلية ومستوصف جيد. ثم هناك كنيسة عليها صليب بارز ولم أر أحدًا يدخلها ولكن ربما كان ذلك للعاملين فيها من المسيحيين ولن يستطيعون أن يجعلوهم يدخلونها من المسلمين.



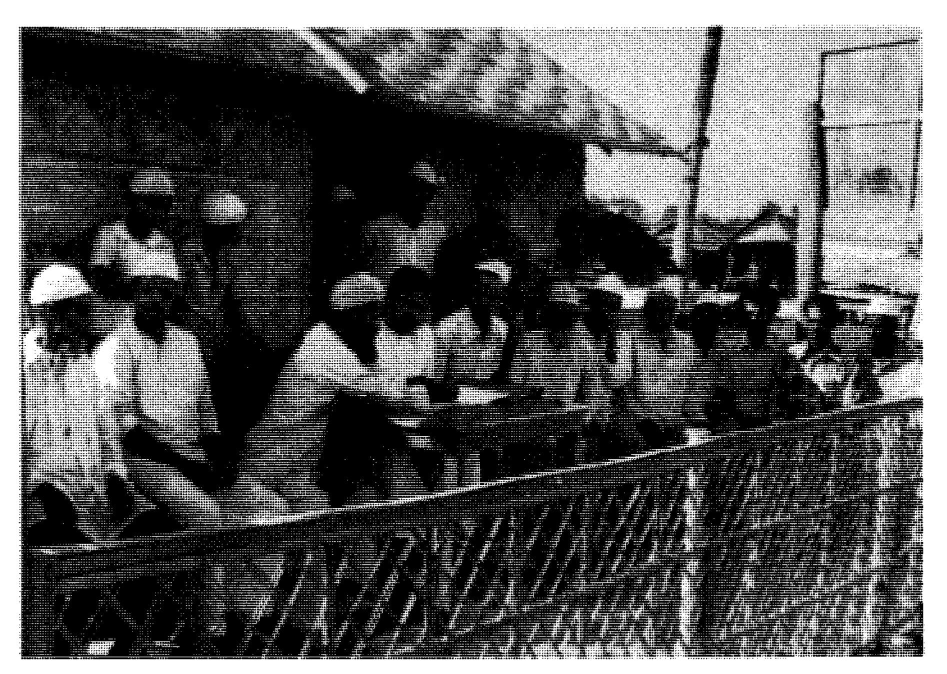
فصل دراسي في مركز الإغاثة

وعندما كانت السيارة تسير ببطأ شديد وبصعوبة في هذا الطريق الذي هو أرض طينية مرتفعة نوعًا ما عن الأرض المجاورة قد فرشت باللبن من الآجر كما قلت كان الأطفال يخرجون من الاكواخ وهم يصرخون ويطربون يلاحقون السيارة ويلمسونها بأيديهم وهي تسير الهوينا.

وقد أشفقت من أن يصيبهم أذى ونبهت السائق عدة مرات لهذا الأمر فهؤلاء الاطفال لم يشاهدوا سيارات كثيرة وربما لم يبصرهم أهلوهم بمخاطر الاقتراب منها ثم أوقفنا السيارة في وسط الشارع لأنك لاتخشى أن تأتي سيارة أخرى للمرور وذهبنا على الاقدام مسافة قصيرة لنشاهد مسجداً جديداً مبنياً بالحصر المثبتة بالأعواد على شكل خيمة مستطيلة استطالتها من الجنوب والشمال والمحراب في وسطها جهة الغرب الذي هو قبلة أهل هذه البلاد.

ويقع هذا المسجد بجانب بركة واسعة طبيعة، أو قل: إنهاضخمة ممتلئة بالماء على شكل بحيرة إلا أن مياهها غير صافية وهذه هي طبيعة الأرض في الهند،

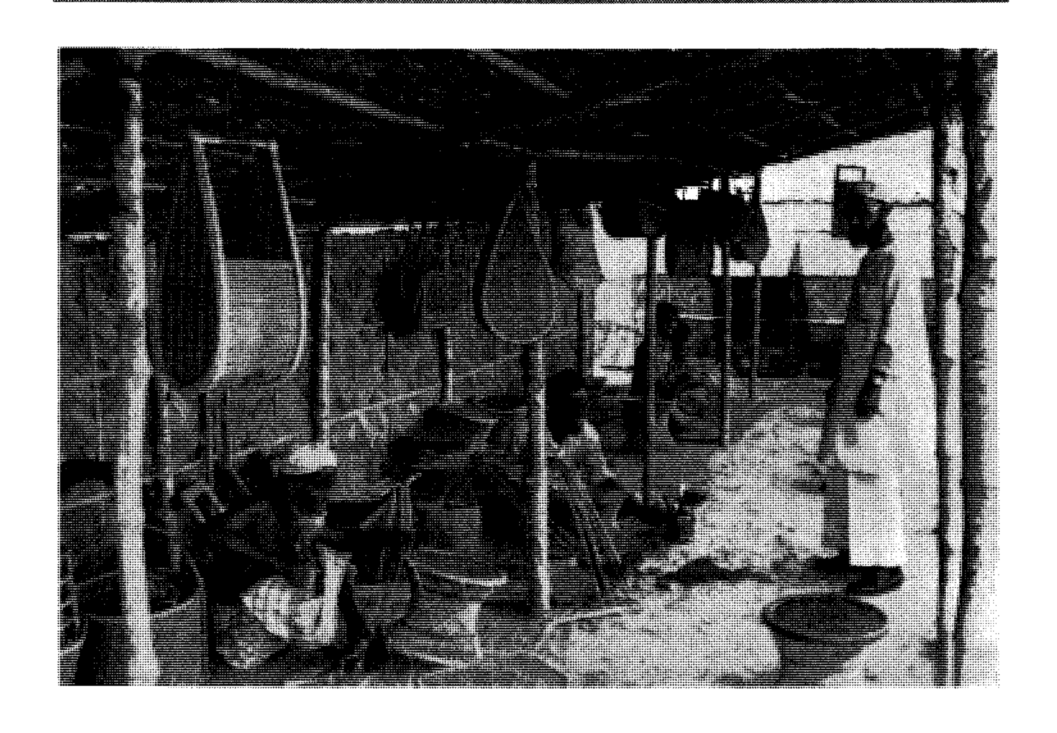
وقال مرافقونا إن الأهالي لايستعملونها للشرب لأن لديهم أنابيب للمياه وإنما يستعلمونها لأغراض أخرى ومنها صيد السمك وأن تكون مصرفا للمياه غير النظيفة.



فصول دراسية كلها من القش

وكنا نرى الأهالي ونحن نمر بهم فنرى أكثر الأطفال متسخي الابدان رغم أن المياه متوفرة بكثرة وربما لايوجد في هذه البلاد متوفر بكثرة مثل المياه، كما أن المرء يشاهد الشيوخ الهزالى وكلهم من المسلمين.

ولم أجد أي أثر للحكومة التي تسمى نفسها (جمهورية بنجلاديش الشعبية) فإذا كان ذلك يدل على أنها تعمل لخدمة الشعب فأي خدمة الزم من خدمة هؤلاء المساكين الفقراء الذين تركوهم للاجانب الذين يخالفونهم في الدين يفعلون بهم ما يشاؤون.



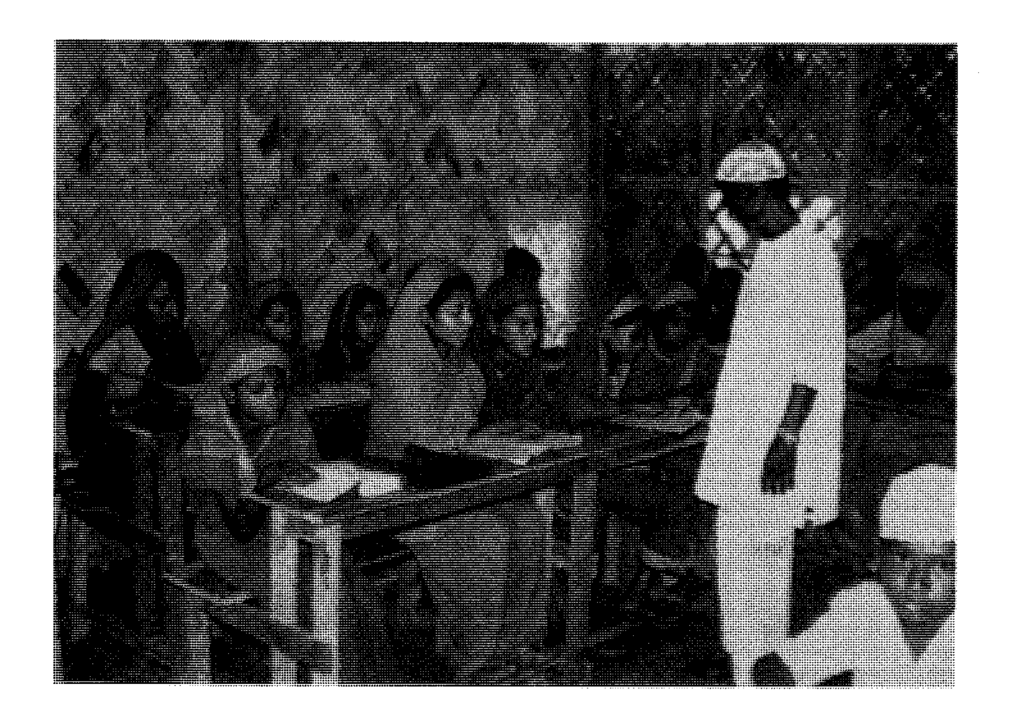
الأثاث والمحل كله من القش أو الأعواد في بنغلاديش

وكنا نسير والاطفال حولنا ككرة التلج التي كلما تدحرجت كبرت فكانوا يتبعوننا وينظرون الينا وذلك بسبب عدم إلفتهم للاجانب الذين يأتون إلى هذه البلاد ولقد وقفت لأسالهم عن اسمائهم فكانت كلها بدون استثناء اسماء عربية إسلامية لا أثر للعجمة فيها مثل نور محمد وسليم وعبدالله إبراهيم إلخ.

وكان سيرنا على الاقدام من هذا المسجد إلى مسجد آخر في ناحية هذه البلدة العجيبة التي اسموها المعسكر لأنها بالفعل ليست بلدة بالمعنى المفهوم وإنما هي معسكر عجيب حقا لإنه كله من الحطب ومشتقاته من السعف والحبال والأعواد والاخشاب غير الغليظة ولاغير ذلك فلا أثر للبناء بالآجر أو الأسمنت فيه رغم أنه يقطنه أكثر من خمسين الف نسمة.

وكنا نرى النساء وبعضهن هزيلات بشكل ملفت للنظر وبعضهن أحسن حالاً وكلهن من المسلمات ولكن كلهن سافرات فهن في حالة لايستطعن معها هن أو ذووهن التفكير في موضوع الحجاب الذي يتمسك به أهل المدن في هذه البلاد حتى

أهل العاصمة، ولم أر أي أثر للحيوانات إلا بعض الدجاج القليل وماعزاً صغيراً أسود وأحمر رغم أن الماء هنا هو المشكلة وليس الجفاف، ورغم كون العلف يمكن الحصول عليه بالمجان إذ الأرض حتى أرض المعسكر تنتشر فيها المستنقعات التي تجللها الاعشاب النامية على سطح الماء وعلى حواشيه وسألت الدكتور مستفيض الرحمن لماذا لايتخذون ماشية اللبن يشربون لبنها ويربونها مادام العلف والماء متوفراً هنا، فأجاب ذلك متوفر ولكن النقود غير متوفرة فلا يستطيع أحد منهم أن يجد ثمن عنز واحدة فقلت له : و(الحكومة) ألا تستطيع أن تعطيهم ذلك؟ فقال: لا، هي فقيرة ومهملة، قلت: وهم ألا يستطيعون أن يعملوا ويشتروا بأجرهم ماعزاً أو غيره؟ فقال : ومن أين العمل؟ وكيف يعملون؟ إن الاقوياء الاشداء الذين لديهم خبرة فيه يعوزهم العمل، وهؤلاء لايعملون ولم يتعودوا ذلك.



فصل دراسي من الحصير

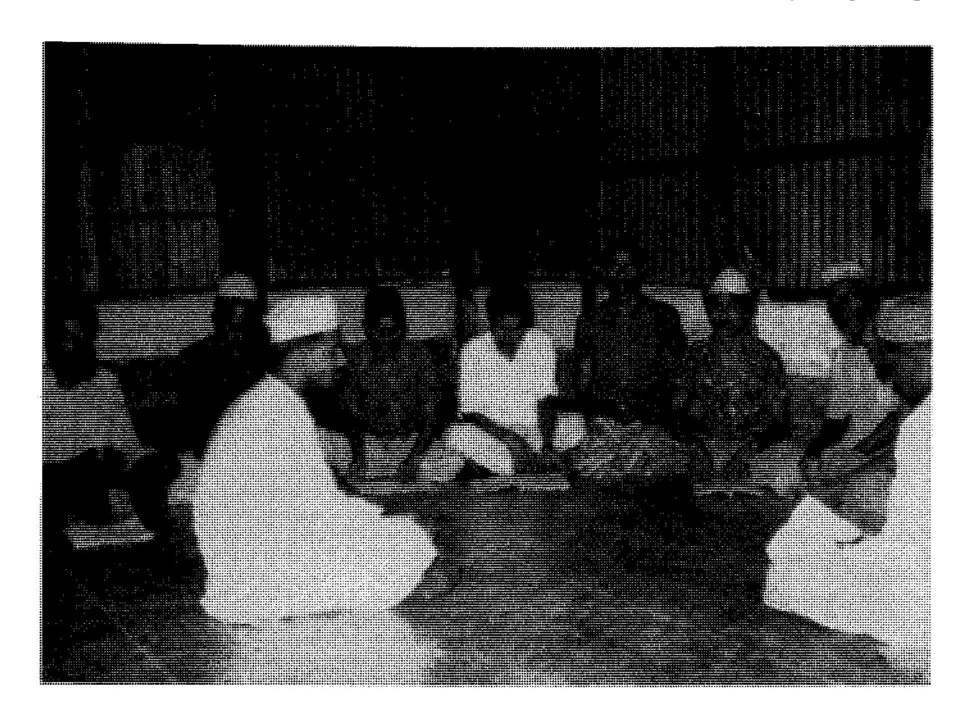
ووصلنا المسجد الآخر في الركن الجنوبي من المعسكر فإذا به ايضاً مثل غيره اشبه بعشة من الحصير والاعواد إلا أنه منسق البنيان وفيه زيادة لاحظتها وهو أنهم قد بنوا سطحه على شكل سنام من الحصير مثل غيره ولكنهم اضافوا سقفا آخر كما يكون في البلدان المترفة مستعاراً للتجميل فهم هنا وضعوا حصيراً فوق رؤوس المصلين على شكل مستو اي مسطح وهو زائد لاحاجة إليه في الوقاية من المطر فسألت عن الحكمة من وجوده هكذا فقالوا: إنه لكي يقي المصلين وبخاصة صلاة الجمعة حرارة الشمس إذ يكون مع السقف الأصلي بمثابة سقف اضافي.

وقد رأيت لافتات مكتوبة على أوراق وخرق بيض في المسجد معلقة فيه ولكنها كلها بالبنغالية فسألت عن معناها فأخبروني أنها ترجمات لمعاني بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإحداها التي عند المدخل هي : (اللهم افتح لي أبواب رحمتك) وأخرى (إن الدين عند الله الإسلام) وثالثة (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون).

وكان إمام المسجد يقرأ عليَّ تلك العبارات بالبنغالية قبل أن يترجم معناها إلى العربية وأنا أقول في نفسي المثل العامي النجدي: اكذب ولاتخاف؟.

وذكرت أيضاً أنني قلت هذا المثل عندما كان صديقي الاستاذ/ رمضان ابوالعز يسير بي في المعابد الفرعونية في مصر ويقرأ عليَّ نصوصاً من اللغة الهروغيليفية التي يحسنها ثم يفسرها بالعربية فكنت اقول له وهو يقرأها: اكذب ولاتخاف.. إذْ كيف اعرف انك قد غلطت فيها.

ولكن اين المسلمون؟



درس على الأرض

كانت العودة إلى مقر ادارة عمل الجمعية الإسلامية في هذا المعسكر وهو غرفة من الحصير كما قلتُ تفضلوا على فقرهم وقلة ذات يدهم فقدموا الشاي وشيئًا من الحلوى المصنوعة محليًا وعندما اعتذرت عن الأكل منها عرف الدكتور مستفيض الرحمن مغزى ذلك فأمرهم بلغتهم أن يحضروا شيئًا من البسكويت المغلف وكان يحدثنا وكله ايمان وعزم وتصميم وكذلك إخوانه الذين اجتمع منهم حولنا أربعة وكلهم يقولون: إنهم بأذن الله سوف يستطيعون ان يقدموا خدمة لاخوانهم المسلمين في هذا المعسكر الذي جميع سكانه من المسلمين.

ولما سألتهم: وموضوع المصاريف؟ قال الدكتور إنها من المسلمين رغم فقرهم فقلت له: والعون الخارجي؟ قال: لقد وصلتنا نقود من الرابطة ولقد اتصلنا باخواننا سفراء الدول الإسلامية فوعدونا خيراً، وإلى الآن لم يتحقق غير ذلك، ولكننا واثقون منهم لأنه لم يمض على ابتداء عملنا هنا إلا ستة أشهر وقد اتصلنا بهم بعد ذلك وهي مدة قصيرة غير كافية.

هذا ولهم في هذا المعسكر أربعة مساجد، وعدة فصول دراسية، وفصول للتدريب المهني ولكنها ضعيفة تنقصها الادوات وصيدلية ليس فيها أدوية ولكنهم يأملون أن يحصلوا عليها. وفصول لتعليم البالغين وسألت الدكتور عن مرتب إمام المسجد هنا الذي هو إمام ومدرس ومرشد ومفتٍ إلخ.

فقال إنهم يختلفون مابين ٣٠٠ - ٥٠٠ تاكا وذلك يساوي مابين ٦٠ إلى مائة ريال سعودي في الشهر.



أطفال صغار تعلمهم (بعثة المساجد)

إن ذلك مبلغ زهيد ولو رأى فقراؤنا من أهل البلدان العربية حالة هؤلاء الأخوة وعلموا بها لاستطاعوا أن يتبرعوا بما يكفيهم فكيف بالاغنياء؟ وقد حدثتني نفسي وأنا أسير في شارع المعسكر قائلة: لماذا لاتسكن في فندق من الدرجة الثانية أو الثالثة مدة مقامك في بنجلاديش وتتبرع بالفرق مابين ذلك ويدخل فيه الفرق بين الوجبات الغذائية وغيرها ومابين اجرة فندق (انتركونتيننتال) الأوروبي الطراز، أو قل: الأمريكي الطراز وذلك سيكون مبلغاً مفيداً بالنسبة إلى هذه البلاد وبخاصة في هذا المعسكر.

وراقت لي الفكرة ولكن أجبت نفسي: أنني أستطيع أن اتبرع بالفرق وأكثر منه واسكن في فندق (انتركونتيننتال) لأننا نحن العرب بعد أن انعم الله علينا بهذه الثروات الطائلة اصبحنا قد تعودنا على السكن في الفنادق النظيفة حتى لانستطيع أن نجد الراحة في غيرها. ثم قلت: لنفرض أن ذلك التبرع بالفرق قد حصل فهو لمرة واحدة وينقطع ولكن لماذا لاينفذ ما سبق أن اقترحته في آخر كتابي: «في افريقية الخضراء» من إنشاء صندوق للدعوة الإسلامية تجمع فيه التبرعات كلها من الحكومات الإسلامية ومن أفراد المسلمين ثم تصرف في مصارفها الصحيحة لإغاثة المسلمين في الخارج وفي الحالات التي تكون مثل هذه الحالة، التي قد يوجد لها نظير في بعض البلدان الإسلامية.. وعزمت على أن أكتب كتاباً في الدعوة اخصص فيه باباً لفكرة صندوق الدعوة هذا.

بقى شئ تجدر ملاحظته وهو أنني عندما رأيت الجمعيات المسيحية قد سارعت إلي إغاثة هؤلاء المسلمين بأن بنت لهم بيوتاً ولو كانت من القش وفتحت لأولادهم مدارس وأنشأت مستوصفاً وأعطت كل طفل يدخل إلى المدرسة ثوباً جديداً على حين تقاعس المسلمون أو لم يصنعوا شيئاً قلت: هل تستحق هذه الجمعيات النصرانية المدح أو الذم؟

لاشك أن كثيراً من القراء سيسارعون بالذم ويقولون: إنهم فعلوا ذلك ليس بنية الخير، أو ارادة النفع للمسلمين وإنما هو من أجل الدعاية لدينهم، ومن أجل تنصير من يستطيعون تنصيره من المسلمين.

ونقول: هذا صحيح كله أو بعضه، ولكن الا يستحق المسلمون الأثرياء الذين علموا بحالتهم ولم يتقدموا لمعونتهم ان يلاموا على ذلك؟

ولم لمْ يفعلوا شيئاً يمنع هذه الجمعيات المسيحية من هذا العمل بأن يقدموا للمسلمين ما يسد حاجتهم ويغنيهم عن تقبلها من غيرهم؟

على أن الذي ينبغي التنويه به أنه ليس كل من قدم من الأروبيين معونة للجمعيات المسيحية لكي تقدمها للمحتاجين في العالم إنما يريد بذلك أن يدخل المعانين في النصرانية ففي أولئك من يقدم ما يقدمه من عمل خيري بدافع إنساني يدفعه وهو يرى ما يتقلب فيه من نعمة وثروة إلى أن يقدم شيئاً من ذلك للمحتاجين والمعوزين.

على أن ذلك لايقدم في هذا الموضوع ولايؤخر وهو موضوع وقوع اللوم على المسلمين القادرين على فعل الخير لإخوانهم ممن بلغهم أمرهم واطلع على حالهم.

على أن هذا لايعني أن المسلمين لم يقدموا شيئًا لهؤلاء الإخوة فالبنجلاديشيون لم يقصروا في تقديم مايستطيعونه ورابطة العالم الإسلامي أقامت معسكرًا كاملاً للاجئين البورماويين استفاد منه الإخوة المواطنون من بنجلاديش ولكن المطلوب هو عمل يكفي عن التماس المعونة من غير المسلمين بأن يغني عن الحاجة إلى غيرهم.

بيت المكرم :

هذه الجملة من اضافة الصفة إلى الموصوف وإن لم يكن ذلك مقصودًا من الذين وضعوا التسمية لعدم معرفتهم بالعربية فالمقصود منه هو أن يقال: البيت المكرم وهو مسجد جامع ضخم واسع ليس في ساحاته وأفنائه فقط وإنما فيما يستوعبه من عدد المصلين بني في عهد حكومة باكستان ويطل على ميدان في العاصمة عليه استاد رياضي وسوق شعبي مسقوف والمسجد نفسه مؤلف من سبع طبقات، أي نعم إنه مسجد مؤلف من سبعة طوابق اسفلها حوانيت وأسواق تجارية ثم المصلى هو وما فوقه أماكن للصلاة.

وقد وصلنا قبل الاذان بقليل فوجدنا الداخلين إليه افواجًا لم أر مثل تزاحمهم إلا في الحرمين الشريفين.

وأدى المؤذن الأذان الأول بصوت رخيم وشجى نتمنى أنه موجود في المساجد العربية وعندما فرغ واديت صلاة السنة تقدم رجل شاب من مكبر للصوت كان في المحراب فألقى كلمة مكتوبة باللغة البنغالية.

وبعد ذلك بحوالي ثلث ساعة دخل الإمام فأذن المؤذن الآذان الثاني ثم نهض الإمام وصعد المنبر ولم يصعد إلى اعلاه ثم خطب باللغة العربية التي لايفهمها منهم أحد خطبتين متوسطتى الطول إحداهما وهي الأخيرة من الخطب التقليدية التي كنت اسمعها في بلادنا تكرركل جمعة منذ أن عقلت، ولاشك في أنه لم يفهمها

منهم أحد وكان يمد الكلام المسجوع في الخطبة مدا ويتغنى به تغنيا، فكنت بذلك افهمه أنا بصعوبة فكيف بهم لو كان فيهم من يفهم العربية والعربية في هذه البلاد قليلة جدًا حتى الكلمات التقليدية التي يفهمها اكثر الناس في الهند وباكستان وهي كيف حالك؟ وجوابها «طيب» لايعرفهما أحد لأن اللغة العربية ليست منتشرة المعرفة في هذه البلاد، وإنما اللغة الوحيدة التي لا لغة معها هي البنغالية.

وبعد انتهاء الصلاة، جعل الإمام يدعو دعاء طويلاً مسجوعا باللغة العربية أول الأمر والناس يؤمنون على دعائه وهم لايعرفون معناه ثم أخذ يدعو بالبنغالية وكانوا يؤمنون هذه المرة خلفه بحرارة ورفع الاصوات لانهم يفهمون معنى دعائه ثم رجع إلى الدعاء باللغة العربية ثم عاد إلى الدعاء بالبنغالية كل ذلك وهو يرفع صوته مثل مايفعل من يختم القرآن الكريم في بلادنا.

وقد استغرق ذلك أكثر من وقت الصلاة بكثير والناس منتظرون لم يتحرك منهم أحد من موضعه ولم يحرك جسمه حتى بتغيير وضعه مثلا من الجلوس إلى التورك وكأنما هم في صلاة فعلية وهم رافعون ايديهم.

وطال ذلك ومللنا لأنه رتب دعاء اعتقد الناس بأنه واجب لايجوز عرفًا تركه فهو بذلك اضاف إلى الصلاة شيئًا لم يوجبه الله ورسوله.

وبعد أن فرغ من هذا الدعاء الطويل قام الناس إلى صلاة النافلة وقمت وصليت ركعتين كعادتي ولما فرغت أردت أن أخرج ولكن لاتزال الصفوف قائمة تغلق الطريق على من يريد الخروج ولايزال الناس يصلون النافلة، وأنا انتظر رفيقي الدكتور مستفيض الرحمن الذي هو بجانبي لأخرج إذا خرج ولكنه لم يفعل ذلك كما لم يفعله غيره حتى مللت بالفعل وقلت في نفسي ماذا جنى هؤلاء على الدين إذ جعلوا من العرف عبادة حتى يستثقل الشباب حضور الصلوات، وحتى يذهبوا من الصلاة اليسر والسهولة، ولو كانوا في بلادنا مثلاً لكان الناس الآن قد ادوا صلاة النافلة ولذهبوا إلى اعمالهم.

هذا والمسجد مفروش ببسط رقيقة لاتقي برد أرضه الاسمنتية والأدهى من ذلك أن القوم لم يعتادوا أن يروا المرء محتبيًا في المسجد فقد احتبيت أي جلست وأنا رافع ركبتي ممسكهما بيدي كما نفعل بالملكة فنهاني جاري الذي عن يميني عن

ذلك فاكتفيت برفع ركبة واحدة، فنهاني جاري الذي عن يساري عن ذلك ورأيتهم بالفعل لايفعلونه.

شيء لايليق :

وبعد إنتهاء مراسيم الدعاء وبعد أن طاب للناس ان يسمحوا لمن يريد الانصراف ان ينصرف بدأت اسمع عند الباب الرئيسي للمسجد ضجة عالية مختلطة الاصوات ولكنها بمجموعها اصوات غير منسجمة وقلت للدكتور مستفيض الرحمن أهم سياسيون؟ فقال: نعم قال ذلك وهو غير صحيح ولكنه لم يرد أن يقول لي غيره وإنما رأيته بنفسي والسياسيون في هذه الأيام يرفعون اصواتهم بالشعارات استعداداً للانتخابات في الشهر القادم وكنت اظن الاصوات خارج المسجد، ولكنني ما أن خلصت إلى بابه الخارجي وسط زحام شديد حتى رأيت منظرا ازعجني إذ كانت تلك الاصوات من الشحاذين والمستجدين كل واحد منهم يرفع صوته باقصى ما يستطيع لكي يسمع الناس ولكي يعلو على صوت الآخرين وذلك كله عند باب المسجد ومن الداخل في اصوات مزعجة منفرة تعطي صورة غير كريمة لهذا المكان الكريم الحافل بالمصلين.

وليس ذلك فحسب وإنما المؤسف أن أكثر هؤلاء المستجدين والسائلين هم من أصحاب العاهات من المشلولين والمجذومين الذين أذهب المرض بعض أطرافهم ومن الذين يحملون على الأيدي وعلى مقاعد من الخشب أو ممن فقدوا يداً أو رجلاً بسبب المرض، وهم يظهرون عاهاتهم ويرفعون اصواتهم في منظر تتقزز منه النفس، وقد أثر هذا المنظر في نفسي ولاشك أنه سيفعل مثل ذلك في نفوس الآخرين الذين أعجبهم هذا المسجد ذو الطبقات السبع الذي اسمه «بيت المكرم» إذ يحضر الصلاة فيه جمع لم أر مثيلاً له إلا في الحرمين في وقت الحج وقال إخواني: إن الذين يصلون الجمعة فيه في طبقاته السبع وفي باحاته الواسعة التي تصيبها الشمس يبلغ عددهم ثلاثين ألف رجل واعتقد أن هذا التقدير ليس فيه من المبالغة شيء هذا مع العلم بأنه يوجد حسبما اخبرنا فيه اخواننا أكثر من مائة مسجد تصلى فيها الجمعة في مدينة داكا.

وبعد الخروج بصعوبة من المسجد الجامع رأينا جماعة قد نصبوا مكبراً للصوت وهم يخطبون قالوا: إنهم من الجماعة الإسلامية وعند السيارة عاد الشحاذون يلحون ويلحفون ولكنني لم اعط احداً منهم لأنك إذا اعطيت واحداً لم تتخلص من الآخرين إضافة إلى أن مظهر الاستجداء الجماعي بهذه الطريقة مما يشوه صورة هذا الاجتماع العظيم في النفس.

في مطعم شعبي :

قلت للدكتور مستفيض الرحمن: إنني أرجو أن تستجيبوا إلى دعوتي لطعام الغداء أنت وسائق السيارة ويكون ذلك في مطعم وطني نظيف والمهم أن يكون نظيفاً يقدم مأكولات محلية ولامانع من أن يكون غالياً وإنما المانع هو أن يكون غير نظيف فهل يوجد ذلك لأنني أحب أن أرى مطعماً نظيفاً يقدم الاطعمة البنغالية فقال: نعم وتكلم مع السائق وتراجعا برهة ثم قصدا محلا أوقفا السيارة بعيداً عنه وسرنا على الاقدام حتى وصلنا مطعماً مزدحماً لايكاد المرء يجد فيه مكاناً، إذ جميع اماكنه مشغولة ورأيتهم يقدمون على كثرة رواده صنفا واحداً من الطعام هو صحن من الأرز وقطعة من لحم الدجاج مثل رجل الدجاجة في صحن منفرد مع أن الدجاج عندهم ليس بالكبير في الغالب، ولكن لحم الدجاجة هو أنفس اللحوم واغلاها في هذه البلاد حتى اخبرني بعضهم أن الدجاجة الواحدة تباع بأربعين (تاكا) أي بثمانية ريالات بالصرف الرسمي على حين انها في بلادنا بستة ريالات وهي أكبر من هذه واسمن والدخول هنا منخفضة بشكل كبير بل مفزع في بعض الأحيان إلا أن لحم الغنم عندهم رخيص بالنسبة إلى الدجاج فالكيلو بثمانية وعشرين تاكا، ولحم البقر بستة عشر تاكا، أما السمك وبخاصة السمك المستخرج من الانهار والمستنقعات الداخلية فإنه ارخص من ذلك بكثير لأنه ليس بالجيد، وإنما الجيد هو السمك المستخرج من البحر وهو أغلى من النهري لأنه ينقل نقلاً إلى العاصمة، وقالا: إن المطعم هذا لايقدم إلا الدجاج.

ورأيت من الازدحام وعدم النظافة في هذا المطعم مانفرني عنه، فطلبت الذهاب إلى مطعم آخر فذهبوا بالفعل إليه فإذا به ليس بعيدا عن الأول إلا أنه يقدم سائر اللحم.

ولما كان من غير المناسب الجلوس في القاعة الرئيسية في المطعم لكون الناس يزدحمون على موائدها وكونك تجلس على مائدة فيشاركك غيرك الجلوس عليها من غير أن تدعوه إلى ذلك فقد أخذنا اخواننا إلى ما يشبه الغرفة الصغيرة من غرف محيطة بالقاعة الرئيسية ومسدل عليها ستارة من القماش المتسخ وقد وضعوها لجلوس النساء ولأكل من يريدون الانفراد.

وانتظرنا قليلاً حتى فرغت إحدى الموائد المنعزلة ودخلنا فجاء خادم المطعم وسخ الثوب والبدن والأدوات وهو يستعجلنا في الطلب نظرًا لكثرة الشغل وازدحام الرواد وطلبت سمكًا وارزًا فجاؤا بالأرز قليلاً وجاؤا بالسمك في وسط المرق ولا أدري أي نوع من السمك ولكنه ليس له طعم السمك الذي نعرفه وله عظام كما تكون العظام التي هي بين عظام الغنم وعظام الدجاج، وبدأ الزملاء يأكلون مثل ما كل الناس يأكلون إذا جاءهم صحن الأرز يلملم الرجل أطرافه بأطراف اصابعه كأنما يخلطه بها ثم يمرس بعضه مع بعض ليدخل الادام إليه ثم يبدأ الأكل بيد واحدة ولايستعملون الملعقة في الأكل مطلقًا.

وبعد الأكل جاؤا بالتنبول وهو ورق التنبول الأخضر وورقة من أوراق التبغ اليابس وشيء من الجير أو النورة كالملح وشئ آخر لا أعرفه بضع المرء مقدارًا من هذه الاشياء قليلاً في وسط ورقة التنبول الخضراء التي هي أكبر من ورقة الليمون وأوسع إلا أن شكلها الخارجي يشبهها ثم يضعها في فمه ويلوكها.

وعندما (تنبل) أخونا الدكتور مستفيض الرحمن سألته: ما فائدة هذا التنبول؟ فقال: مافائدة الشاي والقهوة؟ فقلت: الأمر مختلف وأنا أريد أن اعرف فقال إنه يسهل الهضم فقلت : قف أولاً أن ذلك موضع شك فإن سائر الناس خارج الهند لايأكلونه ولايشكون شيئًا حول الهضم وثانيًا: انتم في بلاد الهند على وجه العموم لاتحتاجون إلى مايسهل الهضم لأن طائفة منكم كبيرة تشكو من الجوع فلا حاجة للإكثار من الأكل حتى يحتاج إلى شئ يهضمه.

ثم قال : وشئ آخر وهو أنه يسر النفس أو هكذا يقول من تعوَّد أكله فقلت: وهذا أيضًا يدل على أن فيه شيئًا وعلى كل حال فإن أهل الهند لايقبلون قول القائلين في التنبول.

وخرجت من هذا المطعم وأنا نادم على دخوله لأنني عندما ذهبت لاغسل يدي رأيت الناس يغسلون ايديهم اليمنى وافواههم وهم لايتحاشون من رفع الصوت بالنحنحة وما يتبعها وكان ثمن الوجبة لثلاثة أشخاص من الأرز البرياني والسمك والدجاج واللحم هو (٥١) تاكا أي عشرة ريالات وربعا.

وهذا المساء :

وانقضى هذا المساء مع عدد من الشخصيات الكريمة من المهتمين بالشؤون الإسلامية في هذه البلاد وكلهم من ذوي المناصب العالية، وكان من المقرر في البرنامج زيارة المركز الإسلامي في داكا ولكن تأخر لدينا بعض الزوار في الفندق فتأخرنا في زيارته فلما ذهبت إليه مع الدكتور مستفيض الرحمن والاستاذ نور محمد أخني المدير العام للبريد في هذه البلاد وغيرهما لم نجد فيه أحداً ووجدناه مغلقًا وكان الوقت متأخراً وأنا بحاجة للنوم، لأنني سوف أسافر في الصباح المبكر غداً إلى شيتا كنج و(كوكس بازار) فقلت ما قالته العامة في مصر في امثالها (بركة اللي جت منك ياجامع)

يوم السبت ١٦ محرم ١٣٩٩هـ ١٦ ديسمبر عام ١٩٧٨م

إلى شيتا كونج :

شيتا كونج هي المدينة الثانية بعد العاصمة داكا من حيث عدد السكان وهي مهمة لأنها الميناء الرئيسي لهذه البلاد وليس السفر إليها بغية الذهاب إليها وإن كانت تستحق الزيارة وأنا أحب أن ازور جميع مدن هذه البلاد وقراها غير أن الوقت لدي قصير لذلك كانت زيارتي لها من أجل السفر منها إلى بلدة (كوكس بازار) قرب الحدود مع بورما وذلك لزيارة المستشفى الذي اقامته رابطة العالم الإسلامي هناك لاغاثة اللاجئين المسلمين البورميين الذين هربوا من بلادهم إلى بنجلاديش من ضغط البورميين عليهم.

ففي تمام الساعة السادسة كنت في مطار داكا وكان موعد الحضور السادسة والربع غير أنني بكرت من باب الاحتياط فوجدتهم لم يفتحوا المكتب وعند الموعد المقرر فتحوه واخذوا على كل مسافر مبلغ خمسة (تاكات) رسماً لمغادرة المطار مع أنها رحلة داخلية.

وفي الساعة السابعة تماماً كما كان مقرراً تحركت الطائرة وهي تابعة لخطوط بنجلاديش ويسمونها أختصاراً (بيمان) وهي طائرة ذات محركين مروحيين من طراز (هوكر هنتر) التي تحمل أربعين شخصاً.

وأعلن المضيف أن الرحلة ستكون اربعين دقيقة إلى شيتا كونج، وبعد أن ارتفعت الطائرة اتضحت معالم المنطقة التي فيها العاصمة (داكا) وقد رأيتها قبل أيام من الطائرة في اقبال الليل واختلاطه بالنهار وبدت أرضاً اشبه بمجموعة من المستنقعات منها بالأرض المعتادة المأهولة غير أن هناك اشجاراً وبيوتاً كثيرة ثم ارتفعت الطائرة واستمر ظهور المستنقعات والمياه والانهار تحتنا.

هذا وكان يقوم بالخدمة في الطائرة مضيفان رغم قلة ركابها قدما في أول الأمر صحفا بالإنكليزية والبنغالية وفيها عناوين كبيرة بأن هذا اليوم هو يوم النصر كما يسمونه وهو اليوم الذي انفصلوا فيه عن باكستان بمساعي الهند وبقوة حراب جيشها ثم قدما شطيرة من الساندويتش ملفوفة بكيس نظيف من اللدائن وبداخلها زبدة وبعدها جاؤا بالشاي الممزوج بالحليب، هذا ونحن في رحلة داخلية قصيرة وفي طائرة صغيرة، فأين ذلك من بخل الشركة الهندية حتى على طائراتها النفاثة؟

وكانت الخدمة جيدة والمقاعد مرقمة رغم كون الطائرة لم تمتلئ كل مقاعدها ورأيتهم استعاضوا عن ذلك بأن شغلوا المكان الخالي من الركاب بأشياء محمولة لا أدري ماهي لأنها ملفوفة.

هذا والمنظر اسفل منا لايزال غريباً إذْ هو مستنقعات ومجاري مياه والمستنقعات ليست غير نافعة أو مجرد ادغال وإنما هي حفر كبيرة مليئة بالمياه لتربية الاسماك وحقول من الارز مغمورة بالماء لريها، أو نحو ذلك وأحيانا تكون مياها زائدة عن الحاجة متروكة.

في مطار شيتا كونج:

تدنت الطائرة بغية النزول للمطار فظهر لي منظر ميناء شيتا كونج الذي هو الميناء الكبير في بلاد البنغال هذه التي كانت تسمى باكستان الشرقية قبل الانفصال، وإذا بالبواخر العديدة قد ارست مراسيها في هذا الميناء الذي هو نهرى

وليس بحريا مياهه حمراء من الطمي ولكنها تختلط بمياه البحر الزرقاء بعد مسافة من ذلك ويرى المرء المياه والمستنقعات هنا كما يراها في غيرها من هذه البلاد وإن كان أكثرها مستنقعات يستفاد منها.

وقد نزلت الطائرة بسرعة في المطار وذهبنا مع ممر كتب عليه أنه للمسافرين الدوليين وما أسرع أن خرجنا من بناية المطار كلها فهي صغيرة إلى درجة ملفتة للنظر مع أن المدينة هي المدينة الثانية في البلاد من حيث عدد السكان وهي الميناء الأول لها ويبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة غير أنه من الواضح أن كثيراً من السكان لفقرهم لايستعملون الطائرات.

ذهبت فوراً إلى مكتب الترحيل أريد أن أتأكد من سفري بعد قليل إلى بلدة كوكس بازار فأخبروني أن الطائرة ستقوم في التاسعة وعشر دقائق وكنا قد وصلنا إلى شيتا كونج في السابعة واربعين دقيقة بعد أربعين دقيقة من الطيران وأنه يجب عليَّ أن احضر قبل ذلك بنصف ساعة وقال الموظف إنه يمكنك أن تجلس في القاعة الخارجية وهي مدخل البناية أو في المقهي وهو في مكان بعيد نوعاً منفصل عن مبنى المطار ففضلت الجلوس في المدخل لأنني كنت فيه وحدي.

إلى كوكس بازار :

جئت إلى الموظف في الموعد المحدد فأخذ مني موظف خاص رسماً قدره (خمس تاكات) أي ريال سعودي واحد ثم دخلنا إلى قاعة المسافرين في المطار ولبثت فترة وحدي، وكانوا يفتشون الحقيبة اليدوية تفتيشاً عادياً ومع المفتش قضيب فيه الكهرباء يمره على جسم الإنسان ولا يمسه كما يفعل أهل الهند.

وقامت الطائرة متخلفة عشر دقائق عن موعدها على خلاف سابقتها ولكن مدة عشر دقائق لاتعتبر تأخيراً حتى بالنسبة للطائرات العالمية.

وكانت من النوع نفسه الذي ركبته في الصباح من داكا إلى شيتا كونج أي ذي المروحتين المخصص لحمل أربعين راكباً وكانت الطائرة مليئة بالركاب وفيها مضيفان وقد قاما بتوزيع الصحف كالعادة ثم اعلن مكبر الطائرة بأن الطيران سوف يستغرق سبع عشرة دقيقة وأن ارتفاع الطائرة سيكون الفي قدم.

وكان طيرانا ممتعا ومن لطائف هذه الشركة البنغالية الصغيرة إلى دقة مواعيدها أنهم حتى في هذا الطيران القصير قدموا علبًا صغيرة مغلفة باللدائن داخلها كيس من اللدائن ايضًا يحتوي على الحلوى من عدد من الأنواع وكانت مناسبة.

أما الطيران فإنه كان على شاطئ البحر أول ما قامت الطائرة ثم كان الطيران فوق حقول من الأرز الصغيرة. وترصع الأرض تلال جبلية خضراء والتلال الجبلية قليلة في هذه البلاد بل تكاد تكون معدومة في أكثر انحائها.

وبعد ثلث ساعة من الطيران وليس ١٧ دقيقة لامست عجلات الطائرة أرض مطار كوكس بازار.

وهي مدينة صغيرة في عرف أهل هذه البلاد إذ لايبلغ عدد السكان فيها إلا خمسين الف نسمة فقط ولايكادون يسمون مثلها مدينة لاعتقادهم أنها لاتستحق هذا الاسم وتبعد عن حدود بنجلاديش مع بورما حوالي ٤٥ كيلو مترًا، وتبلغ نسبة غير المسلمين في كوكس بازار ٥٪ مابين هندوكيين وبوذيين.

وجدت في مطار كوكس بازار جمهرةمن المستقبلين على رأسهم الاستاذ (مير قاسم علي) مدير مشروع الإغاثة الذي تقوم به رابطة العالم الإسلامي في مكة لإخواننا اللاجئين المسلمين من بورما، وهو المقصود بزيارتي لهذه المنطقة التي تستحق أن تزار لمجرد الزيارة لا لغرض آخر ولكن الوقت لايساعد على طول البقاء، وكان معه جمع من العاملين في هذا المشروع ومنهم بعض الاطباء والمرضين كما كان قد أحضر إلى المطار سيارتين كتب عليهما بالبنغالية والانكليزية (رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة).

وقصدنا المعسكر الذي يقع فيه المستشفى المذكور ويبعد مسافة ٢٦ كيلو مترًا من كوكس بازار فاخترقنا البلدة ثم استرحنا في فندق فيها اسمه فندق سايمون تناولنا فيه القهوة مع إخواننا ومن هناك مباشرة بدأنا رحلتنا إلا أنني طلبت أن نمر بالسوق الرئيسي في البلدة فوجدته من الخشب ومسقوف بعضه بالقش وبعضه بالصفيح، وهذه هي حال الحوانيت فيه واشترينا منه بعض ثمار النارجيل بغية التزود بمائها للشرب لأنه نظيف ولذيذ ومفيد للجسم حسبما ترآى لي من التجربة.

ومررنا بمكتب الرابطة في البلدة وعليه الهلال والكتابة بالانكليزية هنا كالعربية في بلادنا لوضوحها لأن عامة الناس يكتبون بالبنغالية لايكتبون معها لغة أخرى وهي مجهولة الحروف والمعاني بالنسبة لي ولامثالي.

ومن المصادفات أنه بجانب مكتب الرابطة الذي رسم عليه الهلال يوجد مكتب تابع لجمعية مسيحية رسم عليه الصليب ولكنهما منفصلان وإن كانا متصلين في العمارة ثم تركنا بلدة (كوكس بازار) إلى الريف البنغالي مع طريق ضيق سيء السفلتة لايتسع إلا لسيارة واحدة وإذا تقابلت سيارتان لابد أن تخرج إحداهما أو تخرج كل واحدة منهما نصفها عن الطريق وهو مرتفع نوعًا فتراها تميل وتشفق أنت أن تنقلب أما إذا صادف تقابل السيارتين عبر جسر فوق أحد الانهار أو مسايل المياه فلابد لاحداهما من الوقوف حتى ولو تقابلت عربة عادية من ذوات الارجل الثلاث التي يسمونها الركشا وهي كثيرة هنا حتى في الأرياف أو من أختها التي يسمونها (موتور ركشا) أي العربة ذات المحرك وهي أيضًا بثلاث عجلات مع أحدى السيارات فإنه لابد أن تقف احداهما لأن الجسور التي فوق هذه المجاري أو الأنهار لاتتسع إلا لإحداهما.

وأكثر ما يراه المرء هنا حقول الأرز في حياضه التي بعضها غارق في المياه وبعضها يبذره الفلاحون أو يعالجونه بالشتل ونحوه فتراهم وقد غاصت ارجلهم في الوحل الأسود وهم يحاولون الانتقال من مكان لآخر فيه والعمل وسط هذا الوحل فلا يسعك إلا أن تتذكر انك كنت في بلادنا العربية تأكل الأرز ولاتدري من تعذب من خلق الله في زرعه وحصاده وتهيئته لأن أهل هذه البلاد لايعرفون الآليات مطلقا فهم يزرعون الآن كما كان الانسان الذي عاش في زمن الفراعنة يزرع بدون اختلاف هذا مالايشك فيه من شاهدهم.

ومع ذلك يلاحظ المرء في هذه المنطقة الكثير من الابقار التي ترعى في حقول الأرز الذي قطف ولم يبق منه إلا القصب والقش.

أما طبيعة الأرض فهي طبيعة البلاد المطيرة وفي هذا المكان بدأت التلال الخضراء في الظهور ونشاهد إلى جهة الشرق منا جبالاً عالية خضراء تقع خلفها حدود بورما مع بلاد البنغال إلى جانب الحفر المليئة بالمياه الموجودة في أكثر بلاد الهند وهي هنا اظهر لأن نسبة الامطار أكثر.

وقد قابلنا بعض السيارات التي تحمل الحطب من الغابات للوقود لأن الإيقاد بالحطب هو الغالب على أهل هذه النواحي.

وقد أخذت اشجار النارجيل تقل لأننا أخذنا نرتفع عن سطح البحر وحلَّتْ محلها اشجار من اشجار الغابات غير المثمرة، وإنما تستعمل للاخشاب لغرض الوقود وغيره ولم نر هنا قرى مسكونة وإنما الغالب هي المزارع والغابات، وهذه الغابات أكثرها تحتها مستنقعات خضراء يصعب الدخول فيها وبخاصة أن فيها بعض الحشرات وقال لي الاستاذ (مير قاسم علي) انه يوجد فيها من الحيوانات المفترسة النمر.

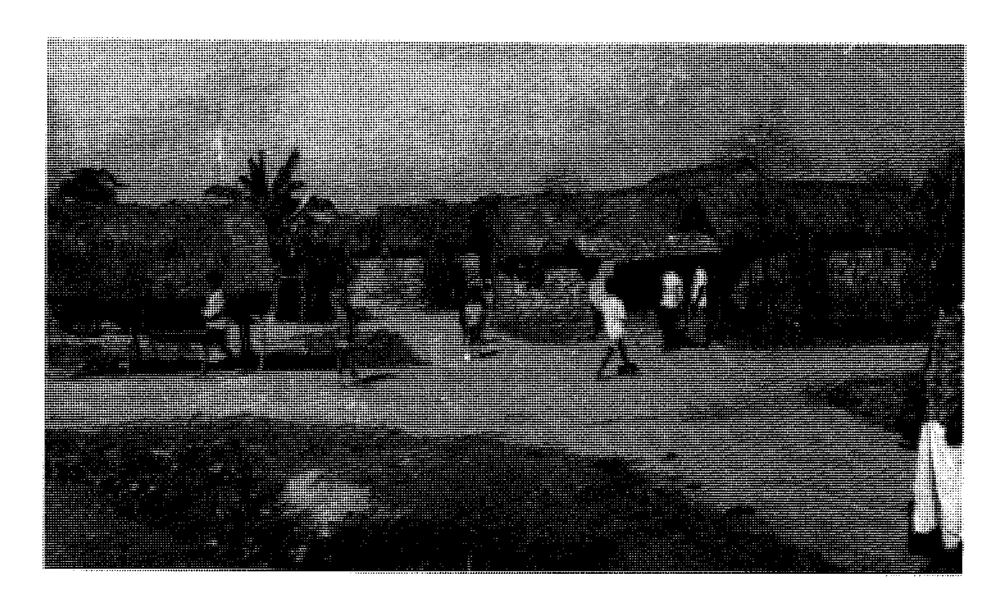
ومعظم البيوت على قلتها هنا مبنية بالحصر والأعواد المأخوذة من نبات (البامبو) وقد مررنا بحانوت صغير منفرد على الطريق هو من القش من هذا النبات وهو نبات يطول ساقه ويرتفع يصنعون منه المساكن المؤقتة في هذا الجو المطير الذي يكثر فيه الفقر وتقل فيه القدرة على الحصول على الاسمنت والقدرة أيضاً على التفكير في الحياة الأفضل وإلا فان بلادهم هذه غنية بالطمي والطين اللازب الذي يصلح لأن تصنع منه أنواع جيدة من الفخار المناسب للبلاد المطيرة كما أن القش والاعشاب والاخشاب اللازمة للوقود على الفخار متوفرة أيضاً بشكل كثيف.

معسكر دوها وابالن :

وصلناه في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة وقصدنا المستشفى الذي اقامته الرابطة هناك وكان أول ما لفت نظري أنه مثل مركز جمعية المساجد الذي أقامته في (تونقي كامب) وزرته امس كله مع باحاته وغرفه ودهاليزه والحواجز المقامة على أفنائه حتى بواباته الخارجية كله مبنى من القش والاعواد أو قل من اعواد (البامبو) ماعدا بعض الدعائم الخشبية في اسفل البناء الذي يكون عليه جدران تكون كالاعمدة في البنيان المعتاد حتى البوابة وضعوها مزينة بعقد من هذه الأعواد يضاف إلى ذلك قسم من الخيام كانت الرابطة قد احضرتها لتكون بمثابة إسعاف عاجل لأن صنع هذه المنازل من أعواد (البامبو) وحصره تحتاج إلى وقت ليس بالقصير لأنها تصنع باليد والذين يستطيعون صنعها اناس مخصوصون يكونون قد مرنوا على ذلك ومهروا في صناعته.

وقصدنا أول ما قصدناه غرفة الادارة العامة في هذا المستشفى، أو قل هذا المعسكر الذي يضم مستشفى وما هو أهم من ذلك مثل دار العجزة الذين ينتظر برؤهم ودار الذين يعانون نقصاً في التغذية وهذا المعسكر يسمى معسكر (دوها دابالن) اضافة إلى اسم المكان الذي يقع فيه ويسمى بهذا الاسم. وقد بدأ العمل به في شهر رجب من عام ١٣٩٨هـ.

ويعمل فيه سبعة من الاطباء وسبعة من المرضين إلى جانب عدد من العمال الآخرين وكلهم من البنغاليين.



أكواخ من القش في بنجلاديش

وبعد استراحة قصيرة تضمنت التعرف على الإخوة العاملين فيه قمنا بجولة مع مدير المستشفى ومع الأخ مير قاسم المسؤل عن مشروع الاغاثة جميعه على كافة اقسام هذا المستشفى العجيب فكان من ذلك عدة عيادات مبنية بالحصير وبالقش كما سبق حتى نوافذها من القش وإن كان بعضها يكون له إطار من الخشب والعيادة فيها مكتب خشبي محلي وكرسي أوكرسيان ايضاً من صنع محلي ومن خشب محلي أيضاً.

ومن هناك كان الاطلاع على غرفة نوم المرضي من الرجال وهم في عنبر واحد كبير ذي سرر مصفوفة وعليهم اغطية من البطانيات الجميلة التي لاتوجد في الهند كلها علمنا أنها ارسلت من الرابطة بأعيانها وأكثر هؤلاء لاتظهر عليهم علامات نقص التغذية مع المرض وهناك من هم مرضى بأمراض عادية وقال لي الأطباء: أن أكثر الأمراض شيوعًا عندهم هي الملاريا وفقر الدم الذي هو في الحالات العادية ليس مرضاً وإنما هو بسبب فقد التغذية.

ومن المؤسف أنه لايوجد لديهم دم ينقل للمحتاجين إليه، ولايوجد لديهم حتى بلازما الدم.

ثم انتقلنا إلى مشاهدة غرف النساء وهن تحت رعاية اثنتين من الممرضات وطبيبة مسلمة بل إن جميع العاملين فيه هم من المسلمين حتى العمال البورميين الذي يجيدون صناعة المنازل من اعواد (البامبو) هم من المسلمين بطبيعة الحال لأنهم كلهم من اللاجئين الفارين من بورما من منطقة اراكان وسيأتي بيان سبب هربهم من بورما ولجئوهم إلى بلاد البنغال.

وأكثر النساء ممن يستحين فتشيح المرأة منهن بوجهها عن الرجال رغم كونها مريضة كما أنهن متسترات، وجميع النساء البورميات واللاتي هن من أهل هذه المنطقة في بلاد البنغال يلبسن لباساً ساترًا مع أن نساء أهل البلاد لايرين إلا قليلاً ماعدا الفلاحات اللاتي يساعدن الرجال في اعمال الحقول.

ثم كان الذهاب إلى قسم الاطفال وأكثرهم أطفال يرثى لهم ففيهم من هو في حاجة إلى التغذية وفيهم من هو مريض حقا ولكن لايوجد العلاج اللازم وأكثر الأمور إيلاما للنفس أنك تجد فيهم من هو مصاب بفقر الدم ويحتاج إلى ما يسعفه فلا يوجد ذلك، وإنما كل ما يفعله هذا المستشفى الصغير ان يعطيه بعض العقاقير لعلاج المرض ثم يبقيه فترة من الوقت في المستشفى يعالجه بالغذاء.

والاطفال على اسرة ومع كل طفل أمه أو المرأة المسؤلة عنه وقد لاحظت أن بينهم بعض البنغاليين فسألناهم عن السبب مع أن هذا المستشفى اقيم في الاصل للبورميين اللاجئين؟ فأجابوا أنه لايوجد مستشفى حكومي إلا مستشفى بعيد وهو علاوة على ذلك فقير بالادوية والعلاج اللازم فيأتون إلى هذا ابتغاء الافضل

ونحن لانستطيع أن نردهم إذا جاؤا الينا لأنهم اخواننا كما أن البورميين إخواننا ولهم حق كما أن أولئك لهم حق، ويقولون ايضاً إن هناك عدة مستوصفات ومستشفيات للجمعيات المسيحية ويذهب إليها الناس إذا لم نعالجهم نحن.

وقالوا: إن هذا المستشفى هو الوحيد الذي تقيمه جمعية إسلامية في هذه المنطقة وذلك لقلة امكاناتها ولأن الحكومة لاتساعد الجمعيات الإسلامية بشئ لا على شؤون التعليم الإسلامي ولا على غيره من الشؤون والادهى من ذلك انها تترك هؤلاء المسلمين المحتاجين من رعاياها للجمعيات النصرانية التي تخالفها في الدين تفعل فيهم ماتشاء بحجة الفقر والحاجة إلى مساعدتهم.

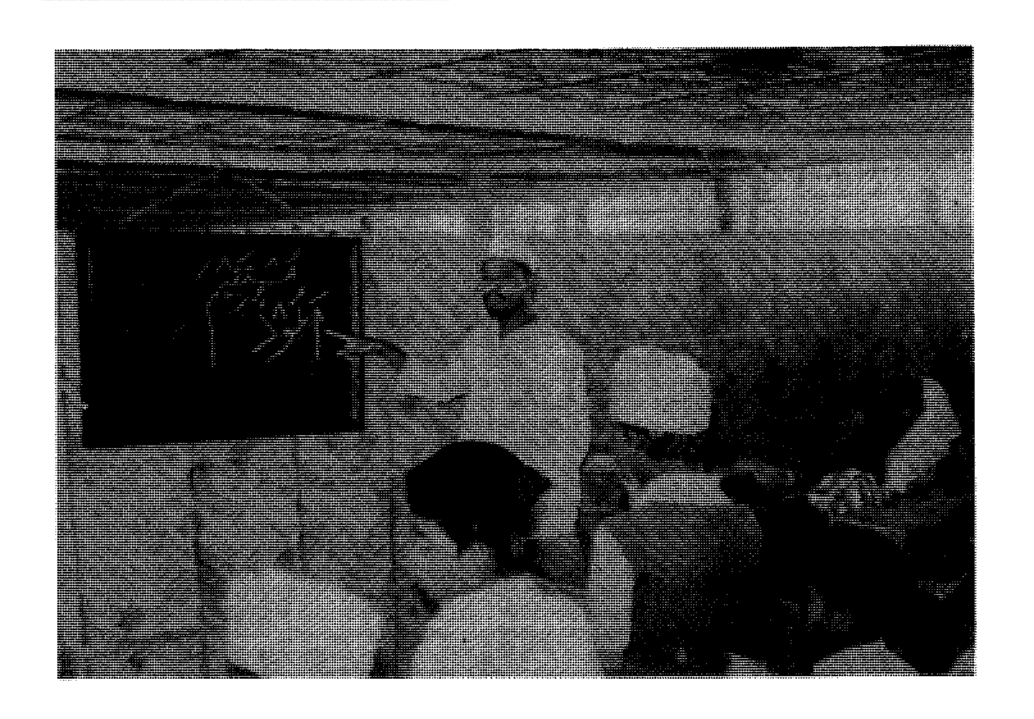
ومن هناك انتقلنا عبر رواق متطامن السقف من هذا البناء الذي يشبه الخيمة الكبيرة إلى غرفة العمليات وهي غرفة عادية من القش فيها سرير وعليه بعض أدوات التطهير مثل ادوات غلي المعدات والكحول ونافذتها قثية مفتوحة فسألتهم عند العمليات كيف تعملون بها؟ قالوا: نغلقها بشئ من الصعوبة.

ثم كان الذهاب إلى المطبخ وهو نفسه قش من القش وأعواد من الأعواد، ولايظن ظان أن هذه الاعواد يسقط منها شئ في الطعام أو غيره فهي نظيفة ومتماسكة وهي في الحقيقة جيدة لمثل هذه البلاد التي لايوجد فيها برد لأنها تقي الشمس ولاتقي البرد إلا أنها مكلفة ولاتعمر طويلاً.

ورأينا الطعام مؤلفا من الارز والعدس مخلوطين ومعهما شيء من الإدام ثم هناك الخضروات التي جمعت جميعاً وأرونا مكانين قد زرعوا فيهما خضروات على أمل أن يستعملوها في المستقبل وهي نابتة نامية، والماء هنا متوفر ولكنه من الأرض فلايوجد مشروع للمياه وإنما يحفرون في الأرض فيغرزون فيها انبوبة حتى إذا وصلت إلى عمق عشرين متراً وجدوا ماء عذباً صافياً واستطاعوا أن يأخذوا منه بالمضخة اليدوية التي يوجد عندهم في هذا المستشفى منها أربع.

أما الكهرباء فإنه لا وجود لها هنا وإنما يستعملون في الليل مصباحاً زيتياً وينامون مبكرين.

وفي الختام كانت الجولة على مكان مخصص للذين يحتاجون إلى عناية خاصة من المرضى ثم ذهبنا إلى غرفة أحد الاطباء ويسمى (سليم) وكان فيها عدة كتب منها موسوعة طبية بالانكليزية وكتاب تعليم اللغة العربية بالبنغالية والعربية.



فصل تعليم العربية للأطفال

وهذه المنازل تعكس الصعوبة التي يعيشها الأطباء والعاملون إلى جانب اللاجئين في هذا المكان.

والأطباء والعاملون كلهم من البنغاليين وهم يعملون في ظروف غير مناسبة من حيث نقص المعدات ووسائل العلاج غير أن في عملهم خيرًا كثيرًا بالنسبة إلى عدمه وهو خير ونفع للمسلمين وبادرة طيبة يرجى أن تكون سابقة خير وقد قدموا كثيرًا.

ورأينا اعدادًا كبيرة من الرجال من شيوخ ومرضى من الأطفال والنساء يراجعون المستشفى ويحصلون على المعاينة وما تيسر من المعالجة والاسعاف.

الأسباب وراء نزوح البورماويين :

لابد من كلمة في إيضاح الأسباب التي حملت الإخوة المسلمين البورماويين على اللجؤ إلى بنجلاديش وترك ديارهم.

وذلك أن حكومة بورما تطبق منذ الاستقلال قانونين للجنسية الأول قانون جنسية «الاتحاد البورمي» والثاني قانون جنسية «الاتحاد البورمي» (للانتخابات) لعام ١٩٤٨م.

وبعد مضي سنوات عديدة اشاعت الحكومة بين أفراد شعبها بأن تلك القوانين تحتوي على كثير من الثغرات والقصور ادخلت عمداً من جراء ضغط خارجي عند الاستقلال وبناء على هذا السبب قدمت الحكومة البورمية إلى الشعب يوم ٤ يوليو ١٩٨٠م (٢١ شعبان ١٤٠٠هـ) مسودة لقانون الجنسية فيه تعريفات وقيود أكثر تتعلق ببعض الطوائف «الجماعات» كجماعة الروهانجيين في أراكان والصينيين والماليزيين المسلمين في جنوب بورما وغيرهم.

واقترحت الحكومة البورمية أربعة أنواع من الجنسية هي :

(أ) الرعوى (ب) المواطن

(جـ) المتجنس (د) عديم الجنسية

وسيكون من حق النوع الأول (الرعوى) والثاني (المواطن) التمتع بحقوق متساوية في الشؤون السياسية والاقتصادية وإدارة الدولة كما سيكون لهما الحق في الاشتراك في هيئات السلطة التي تضع مبادئ هامة وتتخذ قرارات في الدوائر التي تنفذ برنامج العمل بموجب المبادئ التي وضعت وفي القوات المسلحة للدولة وفي الاشتغال في الانتاج والتوزيع.

أما المتجنس فإن حالة التجنس يحصل عليها بطلب رسمي ولصاحبها حقوق محدودة ولن تكون من هذه الحقوق بأي حال من الأحوال العمل في تمثيل الشعب وفي أمن الدولة وفي رئاسة هيئات الخدمة.

وأما عديم الجنسية فيحتجز في السجن لمدة محدودة ثم تحدد اقامته في مناطق معينة «معسكرات اعتقال» ويفرض عليه العمل في الانتاج فإذا احسن العمل في معسكرات الاعتقال اثناء الفترة المحددة فقد يسمح له بحمل شهادة تسجيل الاجانب على أن يعيش في منطقة محددة في البلاد.

تعليق :

نتيجة للتجارب الماضية المتعلقة باصدار قانون جديد في بورما يفترض أن صياغة مشروع قانون الجنسية الحالي سيواجه تعديلات طفيفة فقط عند سنه، أي أن البنود الرئيسية قد لاتتعرض لأي تغيير، وعليه سيكون تأثير القانون شديداً على مسلمي اراكان ومن المحتمل أن يصادق على المشروع من يعتبرون عملاء للحكومة من المسلمين.

وعندما يسرى تنفيذ القانون الجديد فإن من المشكوك فيه أن يحصل على الجنسية عشرون بالمئة من مجموع مسلمي اراكان، هذا عدا معاملتهم كأنهم غير مواطنين في الاتحاد البورمي رغم الاعتراف بهم كمسلمين روهانجيين ورغم دعوتهم لحضور الاحتفال باليوم الوطني ووجود برنامج خاص لهم في الاذاعة قبل مجيء الحكومة الحاضرة إلى السلطة.

وتفيد بعض المعلومات أن كثيراً من مسلمي اراكان يفكرون الآن في التقدم بطلب التجنس الذي قد يكون أكثر سهولة في الحصول عليه من الرعوية، وفي مثل هذه الحالة سوف تتضاءل دعوى جماعة الروهنجيا بكونهم سلالة عرقية في أراكان وسوف يكون في ذلك من ناحية أخرى انتصار عظيم لحكومة بورما أمام المحافل الدولية، وعليه فإن قبول منح هذه الجماعة حق التجنس يقع تماماً تحت رحمة الحكومة البورمية.

وقد اعدت الحكومة إلى جانب ذلك بعض الاجراءات التي يراد بها الغاء حق الرعوية والمواطنة بحيث يتحول من تصيبهم تلك الاجراءات في النهاية إلى حالة ادنى من مستوى البشر طيلة حياتهم وبدون أن يكون لهم أي ملجأ يفرون إليه، كذلك يفترض أن يسقط جيل الشباب المتعلمين من المسلمين بسهولة فريسة لمعسكرات الاعتقال لعذر أو لآخر وهكذا ينجح المشروع الذي طالما حلمت به الحكومة البورمية بحيث ينعدم أي أثر للمسلمين في مكان كانوا يشكلون فيه الأكثرية حتى عام ١٩٤٢ على الأقل.

إن بورما تشهد الآن اعداد القبور المهيئة للمسلمين وخاصة اولئك الذين يعيشون في اراكان لكونهم لايقبلون المساومة على دينهم رغم تخلفهم الاقتصادي والثقافي ورغم تعرضهم للتعذيب سياسيا واجتماعياً.

وهذا إضافة إلى الحملات العسكرية لإرهاب المسلمين في أراكان وقتل من يقاوم منهم ومصادرة ممتلكاتهم مما حملهم على اللجوء إلى بنجلاديش.

العودة إلى كوكس بازار :

بدأنا العودة إلى كوكس بازار في الساعة الواحدة ظهراً وكان في نيتي أن ازور الحدود البورمية التي تبعد من هذه النقطة حوالي ٢٨ كيلو متراً غير أن الوقت كان ضيقاً فممررنا بمكتب الرابطة وصلينا الظهر والعصر جمعاً فيه ثم قصدنا من البلدة بيت الأخ (محمد أبو القاسم) لتناول طعام الغداء عنده وهو بيت جيد البناء تدخل إليه من حديقة واسعة على الشارع العام فيها اشجار الفاكهة من المانجو والليمون (البنزهيز).

وقد رحب بنا الأخ محمد ابوالقاسم وكان من المصادفات أنه كان عائداً لتوه من مكة المكرمة بعد أن أدَّى فريضة الحج هو وزوجته وهو رجل ودود بشوش الوجه خفيف الروح على قلة في الذين يتمتعون منهم بالظرف وخفة الظل مع أن ذلك لايعيبهم ولايقدح فيما يقومون به من أعمال جليلة.

وكان طعامه أيضاً مقبولاً لنا فليس فيه فلفل كثير ولابهارات مبالغ فيها وقد اختار اغلى انواع اللحوم ثمنا في هذه البلاد الذي هو ارخصها في بلادنا وهو لحم الدجاج فاحضر منه انواعاً بعضها مع الارز وبعضها وحده كما كان هناك سمك صغير من نوع الاربيان (الروبيان) وقد حضر الطعام معنا عدة اشخاص وكان الحديث خلاله عن هذه البلاد شيقا.

وبعد الطعام وغسل الايدي الذي يصنعون به كما كنا نصنع في نجد عندما كنا نحضر الماء مع الصابون ليغسل الضيوف ايديهم في وعاء فرفضت ذلك وقلت ارجو ان تدلوني على حوض الحمام حتى اغسل فيه يدي لأني لا أريد أن يرى غيري ما قد استعملته من الماء والصابون ولكني تذكرت وأنا مع مضيفنا الأخ محمد أبوالقاسم ندخل إلى داخل البيت أن معظم البيوت في الهند لايكون الحمام فيها قريباً من غرفة الاستقبال وإنما يكون في داخل البيت.

وقد لفت نظري وأنا أمر في احدى الغرف ما يشبه المائدة القصيرة الارجل التي لايزيد ارتفاعها على قدم واحدة سألت عنها الأخ محمد ابو القاسم فأخذ سجادة

للصلاة كانت قريبة منه وفرشها فوق هذه المائدة وقال هذه تصلي عليها زوجتي وهذه المائدة التي ترفعها إنما هي لوقايتها من تلويثها بالنجاسة من الأطفال ونحوهم.

مدرسة البنات :

حضر أحد الأشخاص إلى بيت السيد محمد ابوالقاسم وقال إنهم يؤسسون مدرسة إسلامية للبنات وإنها تحت رعاية جمعية رئيسها السيد محمد ابوالقاسم نفسه ويرغب أن نزورها فمررنا بها فإذا بها فضاء من الأرض قال إن الحكومة اعطته إياها وعليها سور من اعواد (البامبو) وقد بنى فيها حجرة واحدة كبيرة صنعت مقاعد حول جدرانها من الداخل وهي مبنية من اعواد البامبو أيضاً، فقلت لهم ماذا عندكم غير هذا؟ فأجاب: لاشيء غير هذا لأنه ينقصنا المال ونحن نحتاج إلى خمسين الف (تاكا) ليمكن بناء المدرسة بناء جيداً بالمسلح مع العلم بأن هذا المبلغ يساوي عشرة آلاف ريال.

المدرسة الهاشمية :

كانت المكان الوحيد فيما شاهدناه الذي عليه حرف بالعربية إذ كتبت عليها عبارة (المدرسة الهاشمية) باللغة العربية وباقي اللافتة بالبنغالية إلا أننا عندما دخلناها وجدناها مركزاً من مراكز تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في هذه البلدة غير أن التعليم فيها يسير على الطريقة التقليدية ويكفي أن يعرف المرء أنهم يدرسون كتب الحديث الكبيرة المطبوعة في الهند وقد أرونا طبعة منها في مدينة (كلكتا).

وهي مدرسة عريقة أسست عام ١٣٥٨هـ وخرجت افواجاً من الطلاب، وطلابها اقوياء العربية بالنسبة إلى غيرهم وإلى ضعف اللغة العربية في جميع بلاد البنغال بل عدم وجودها في أكثر الاحيان وفي المدرسة مكتبة جيدة كلها بالعربية وقال المدير الشيخ مظهر الحق بن مير حسن: إن الصعوبة التي نلاقيها يأتي معظمها من عدم وجود الكتب العربية لأنه لايطبع في بلاد البنغال منها شيء وإنما نأتي بها من الهند أو باكستان أو البلاد العربية.

وقال: إن الدراسة في هذه المدرسة على ثلاث مراحل: الأولى مدتها ٦ سنوات ونسميها مرحلة الداخل والثانية أربع سنوات واسمها الفاضل، وأنشأنا حديثًا مرحلة أعلى اسميناهامرحلة الكامل، وندرس فيها أمهات كتب الحديث كالصحيحين والمسند.

وقال: إن عدد الطلبة فيها يبلغ أكثر قليلاً من ثلثمائة، وعدد المدرسين خمسة عشر، وسألته عن راتب المدرسين فقال إنهم على ثلاث درجات الأولى مرتب الدرجة الأولى (٤٥٠) تاكا والثانية ثلثمائة والرابعة مائتان وخمسون أي (٩٠) ريالاً وستون ريالا وخمسون ريالاً على الترتيب هذه هي رواتب المدرسين التي منها يعيشون وبها يعملون فقلت للمدير الشيخ مظهر الحق إذًا كم تبلغ مصاريف المدرسة في الشهر؟ فأجاب: أربعة ألاف تاكا فقلت: لابد إذًا أن بعض المدرسين يعملون عندكم محتسبين فهل هذا المبلغ يكفي؟ فقال بالحرف الواحد وجميع الكلام معه كان بالعربية: لا ياسيدي نحن نعيش بالكفاف.

وبناية المدرسة بالاسمنت المسلح ومظهرها جيد سألت المدير عما يحتاجونه حاجة ملحة في الوقت الحاضر؟ فقال: إنه المسجد، إننا نصلي الآن في غرفة فقلت له: كم يلزم لذلك من المال؟ فأجاب: إنه مبلغ خمسين ألف تاكا أي عشرة آلاف ريال.

وفي ختام الزيارة قدم المدير أحد الطلبة وقال إنه يريد أن يسمعكم شيئًا من تلاوة القرآن الكريم واسمه (محمد شاه) فقرأ آيات من القرآن الكريم بتلاوة مجودة جيدة.

العودة إلى شيتا كونج:

بدأنا رحلة العودة إلى شيتا كونج من (كوكس بازار) في الساعة الثالثة والنصف وسألت الأخ (مير قاسم) عن المسافة فقال إنها ستة وتسعون ميلا ولكن لاتظن أنها كالمسافة في بلادكم انها تساوي مسافة ثلثمائة ميل عندكم فقلت له: انها تساوي أكثر من ذلك إذا كان الطريق إليها مثل الطريق إلى معسكر (دوهاوا بالين) قال: إنها مثلها.

لقد بدأنا السير وبدأ معه استعمال منبه السيارة ولو قال المرء: إن المنبه سوف يكون مشتعلا طيلة كون المحرك مشتغلاً لما قال غير الحقيقة ذلك بأن الطريق يحفل بالدراجات العادية والنارية التي يسمونها كلها الركشا وهذه العربات ليس فيها مرآة أمام السائق يرى منها ما خلفه، ولو وضع المرأة لما استطاع لأنه خلف العجلة الامامية وخلفه جسم العربة التي يحمل فيها الناس وهي على عجلتين خلفيتين أي: اعرض منه كثيراً ولاينفعه في هذه الحال إلا مرآة متقدمة أي مصنوعة وفق مقاييس فنية وهي غير موجودة هنا والناس عنها في شغل بلقمة العيش أو السلامة من السفر بالأرجل ولو كان ذلك على حمار مع العلم بأنني لم أر في كل هذه الارياف حماراً واحداً ولا أدري السبب.

وكأنما كان صانعو عربات الركشا لم يكونوا يتوقعون أن تسير في طريق تسير عليه السيارات لذلك لم يجهزوها بمرآة مع العلم بأن المرايا أصبحت الآن ضرورية لكل العربات الصغيرة والكبيرة.

والطريق ضيق لايتسع لمرور سيارة واحدة فالدراجة التي هي عربة الركشا بعد صنع مركبة عليها تسير في الطريق الاسفلتي والطريق لايتسع لمرور سيارة معها وسائقها لايستطيع أن يبصر السيارات من خلفه فيبعد عن طريقها لذلك يضطر سائق السيارة إلى أن ينبهه ببوق سيارته ولايكفي فيه المرة أو المرتان، أو التنبيه المتقطع بل لابد من أن يظل البوق مزعجاً حتى يزعجه ويخلي الطريق الضيق لمرور السيارة.

هذا إلى جانب أفواج المارة من الفلاحين الذين ينقصهم الوعي والذين يسيرون مع الطريق لأنه مرفوع والذي بجوانبه من الأرض غير صالح للسير لوجود حشائش وأخشاب وعوائق أخرى فيه، فيضطر السائق إلى أن يزعجهم بالبوق حتى يبتعدوا عن الطريق.

أما المشكلة الكبيرة فهي ما إذا أقبلت سيارة شحن تحمل أخشاباً أو حافلة كبيرة تنقل ركاباً فإنه لابد من أن تقف السيارتان كلتاهما المقبلة والذاهبة حتى تخرج كل واحدة منهما جزءاً منها أو كلها عن الطريق وإلا اصطدمتا وإذا ما خلا الطريق من هذا وذاك مع أنه قلما يخلو من ذلك فإنك تجد جسراً ضيقاً يضطر من يكون فيه

من الناس ماشياً أن يقفز في جداره أو يتعلق به حتى يسمح بمرور السيارة فوق الجسر، لأنه لايتسع لأكثر من سيارة واحدة وعليك حتى إذا كان خالياً أن تتمسك بالسيارة لأنه يكون مرفوعاً عن بقية الطريق لينتبه السائق إلى وجوده حتى لايضل فيسقط في هوة المجرى المائي.

وإذا كان لاهذا ولا ذاك مما ذكرته فإنك ربما لاتعدم أبقاراً وماعزاً من ماعز أسود صغير جداً أو يكون أحمر ولكن صغر الحجم يلازمه.

والدجاج لها نصيب في الطريق وبخاصة في القرى، والكلاب على قلتها موجودة وتعيق المرور وشيء آخر لم أره عند غيرهم وهو طائر صغير شبيه بالبغبغاوات الوحشية اصغر من الحمامة ويقول الأخ مير قاسم: إنه هزيل ضعيف فهو ينتشر في الطريق بكثرة مزعجة ولا أدري ماذا يجد فيه.

وإذا حالفك الحظ ولم تجد شيئاً مما ذكر لفترة قليلة من الوقت فإنك قد تجد أن الطريق ذاته فيه خراب وأنه يحتاج إلى تعمير.

هذه حالة هذا الطريق الطويل الممل في هذه المنطقة الموغلة في أدغال بلاد البنغال التي لا أثر ولا وجود فيها لغير اللغة البنغالية فلا تعرف منها شيئاً ولا أثر ولا وجود فيها لغير الجنس البنغالي المسلم فلا ترى وجهاً لآدمي من جنس آخر.

يوم النصر :

من سؤ حظنا أن كان هذا اليوم هو الذي يسمونه يوم النصر وهو يوم انفصالهم عن شقيقتهم باكستان وتأسيس الدولة البنغلاديشية وهو في الحقيقة يوم النصر الحقيقي للهند لا لهم ولا لغيرهم من المسلمين فقد تركهم هذا اليوم لقمة سائغة للهند تفعل بهم ما تريد دون أن تخشى من أن يكون لذلك رد فعل من أحد، وهو اليوم الذي جردهم من اسباب قوتهم فأصبحوا لاحول لهم ولا قوة لا من القوة الإقتصادية ولا الصناعية ولا العسكرية ولا حتى الكفاية من الاشياء الضرورية إذ لايزالون يستوردون الغذاء الرئيسي لهم وهو الارز من باكستان وهم يعانون نقصاً في كل شيء إلا شيئاً راحداً هو عنجهية الوطنية البنغالية مع أنهم مسلمون ومتى كان الإسلام معترفاً بالوطنية الضيقة؟

ولذلك لايرى المرء من مظاهر الاحتفال بهذا اليوم اي شيء إلا بعض الانوار الملونة غير القوية على بعض المباني الحكومية وإلا شيئًا واحدًا هو مما أزعجنا في هذا الطريق فقد أعلن هذا اليوم السبت يوم عطلة، لذلك انتهز كثير من الناس الفرصة هذه واخذوا يركبون الحافلات العامة لزيارة اقاربهم أو للفرجة أو غير ذلك فكان ذلك مما ازعجنا في الطريق وبعض الحافلات يكون معها مكبر للصوت يذيع الأغاني المسجلة بصوت مرتفع مزعج.

إذًا هذا اليوم يذكرنا نحن المسلمين الحريصين على قوة الإسلام بيوم من أيام نصر الأعداء ويوم من أيام إضعاف المسلمين وليس ذلك مقتصرًا علينا بل كثير من أهل البلاد يعرفون ذلك ولكنهم يذكرون لك مظاهره فإذا سألتهم عن الأرز ارخيص هو؟ أجابوا: إنه رخيص في باكستان والفاكهة؟ إنها رخيصة في باكستان حتى الحجاج سألتهم عن عددهم من بلاد البنغال هذه؟ فأجاب الحاج (محمد ابوالقاسم) إنهم من باكستان كثير. فقلت له يا أخي اسألك عن بلادك فقال هم ستة آلاف، ولكن باكستان حج منها (٦٧) الفا ونحن أكثر منهم عددًا.

قرية رامو :

القرى هنا حتى الآن في المسافة التي نسير فيها ليست متشابكة كما هي في الهند وذلك لايعني أن العمارة ليست متصلة بل هي كذلك ولكن التجمعات السكانية ليست متصلة وهذا طبيعي إذ البلاد بلاد زراعية ذات مياه كثيرة. وكان من القرى التي مررنا بها قرية تدعى (رامو) فيها سوق للبيع والشراء حوانيته من الخشب والقش. والفاكهة التي تباع فيه هي الموز وبعض الخضروات، وأكثر أهلها يمشون وهم حفاة الاقدام ربما كان ذلك بسبب رطوبة أرضهم.

مواصلة التعب :

استمر السير في هذا الطريق المرهق للاعصاب لأن الإنسان يخيل إليه في كل لحظة أنه سيصطدم بسيارة أو دراجة أو يصدم آدميا أو يدهس طفلاً أو حيوانًا صغيرًا.

فممرنا بقرية اسمها (دولا هاجارا) فيها سوق على الطريق ريفي للفلاحين الذين رأينا بعض اطفالهم يمشون وهم عراة ويظهر أنها منطقة تعتني بالابقار إذْ رأينا فيها وما حولها اعدادًا كثيرة منها ترعى في حقول الأرز الذي قطف حبه.

قرية شرنقا :

وصلنا في الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين وكان بعض رفقائنا من غير المسافرين لم يصلوا العصر مثلنا لأنهم من (كوكس بازار) الذين لايجوز لهم الجمع كما أن صديقنا (مير قاسم) هو الذي يسوق سيارة الرابطة التي نركبها وربما احتاج إلى راحة فأوقفنا السيارة في السوق الكبير للبلدة، وذهب الاخوان إلى المسجد وذهبت أتمشى لوحدي ففوجئت بأن القرية هي سوق البيع والشراء لاغير وليس هناك بيوت أو مساكن أخرى ذلك بأن هذا هو سوق ريفي يقع وسط مناطق المزارعين لذلك يعتبر سوقا لمنطقة كاملة وليس سوقًا في وسط بلدة.

وقد رأيت جميع (دكاكين) هذا السوق مبنية بأعواد (البامبو) والحصير وأكثرها مسقف بالقش وبعضها مسقف بالصفيح ولم أر فيها بناء قويًا جيدًا بالأسمنت المسلح إلا مسجدها فقد كان بناؤه جيدًا وبجانبه أماكن جيدة للوضوء.

ورأيت في السوق جانبًا من الدكاكين قد اقيمت على اخشاب مغروسة في مجرى ماء آسن، وجعلت فوقها اخشاب على شكل سقف فوق هذا المجرى وهي في الوقت نفسه أرضية هذا الحانوت، ورأيت أكثر أهلها حمر الافواه من أكل التنبول وربما كانت هذه الساعة هي ساعة أكله عندهم إذا كان لأكله ساعة معينة والسوق ملئ بالبضائع الخفيفة التي يحتاجها أهل القرى وليس فيه من المصنوعات الثقيلة شيء وهذا أمر طبيعي لأن تلك تكون في المدن.

ومن المنتجات الزراعية فيه الموز الصغير سألت عنه فقالوا: كل اثنتين أي اصبعين من اصابع الموز بتاكا واحد فهم لايبيعونه بالوزن ومن بين المعروضات فيه حزم من الحطب من أخشاب مكسرة أكثر من كانوا يحملونها من الصبيان يجيئ الواحد منهم بحزمة لايكاد يحملها فتكاد رجلاه الحافيتان تغوصان في الأرض لولا أن الأرض ليس فيها غبار بل هو الطين الذي لبده المطر.

وأكثر الأطفال الذين يحضرون الحطب هذا نصفهم الاعلى عار من الثياب وقد رأيت بنية عمرها في حدود العاشرة أو الحادية عشرة معها حزمة من الحطب فسألتها عن الثمن فلم تعرف الانكليزية كما لايعرفها عامة أهل الريف هذا وإنما ترجم لي أحد الرفاق فأجابت أنها تبيعه بستة تاكات أي ريال وربع فقلت لها :

بخمسة فامتنعت ولو باعتني اياه لاعطيتها ثمنه وتصدقت بالحطب عليها وإنما سألتها لأعرف ثمنه فهي قد حملته من مكان لاشك في أنه ليس قريباً وبقيت تبيعه فترة وأهلها كم عانوا في قطعه من الاخشاب وتكسيره كل ذلك بريال وربع ولكن الريال والربع قد يكون فيها لهم سداد من جوع في شئ يشترونه من الأرز الذي كان رخيصاً عندهم فارتفع ثمنه نسبياً بعد انفصالهم عن باكستان.

ومررنا بعدة قرى لم نقف فيها أو على الأصح بعدة أسواق للقرى لأنهم يجعلون السوق على الطريق الذي لاطريق غيره مبنياً بالاسفلت لسهولة المواصلات ويأتي أهل القرى يحملون بضائعهم على رؤوسهم ويبيعونها ويشترون بثمنها مايحتاجونه من الاسواق.

والمناظر لاتكاد تختلف خضرة طبيعية ليس فيها أي أثر لمراعاة الجمال بل هي خضرة لم يراع فيها التنسيق واشجار باسقة مررنا بقليل من أشجار المطاط بينها واحواض للأرز بعضها حديث اخضر وأكثرها قديم قد قطف حبه وبقي قشه في الأرض ترعاه الابقار أو متروكا دون رعي وبعض احواض الارز قد غمرتها المياه ولا أثر لاشجار النارجيل هنا، والابقار كثيرة كثرة ملفتة للنظر فهي أكثر هنا من الهند ويليها في الكثرة مما يؤكل الدجاج.

أما الناس فهم أكثر من ذلك بكثير ويراهم المرء على الطريق يحملون اغراضهم ومنها الارز المحصود والأواني على الرؤوس أو على الاكتاف كما كان الإنسان القديم يفعل تماماً من دون تغيير.

سوق دو هازاري:

دو هازارى معناها ألفان فدو: اثنان في الفارسية والاوردية والبنغالية مع اختلاف يسير في اللفظ بين اللغات الثلاث و(هازارى) ألف، سميت بذلك لأنها كانت محطة للشرطة في عهد الانكليز وقد ارسلوا إليها الفين من الجنود لذلك سميت بهذا الاسم.

وقد ولى عهد الانكليز ولكن التسمية بقيت وبقى معها أن اصبحت سوقاً هاماً من اسواق الفلاحين لم نمر بمثله قبله ولابعده على كثرة اسواق القرى في هذا الطريق.

وهو حافل بالمعروضات وبخاصة منتجات الفلاحين التي من أهمها هنا الخضروات فهي كثيرة كثرة ملفتة للنظر أكثر منها في الاسواق الأخرى وذلك عائد لطبيعة المنطقة مع العلم بأننا وصلناها ليلا ولكن السوق على اشد حركته فهو مضاء بالكهرباء وبعض المحلات والمقاهي التي هي في الوقت نفسه مطاعم مضاءة بمصابيح الغاز وذلك لمعرفتهم بأن الكهرباء ضعيفة وبأنه يحتمل أن تنقطع وبالفعل انقطعت الكهرباء ونحن فيه ولكن المصابيح الغازية القليلة كانت تبدد الظلام الحالك، وبعد حوالي خمس دقائق عادت الكهرباء ثم انقطعت ثم عادت.

وقد عرض عليَّ الأخ (مير قاسم) أن اشرب معه كاساً من الشاي أو اتعشى في إحدى هذه المقاهي فاعتذرت إليه عن ذلك مع أنني محتاج إليه ولكن مستوى الخدمة والنظافة فيها يمنعني من تناول ذلك.

فقلت له: إنك يمكنك أن تستريح مع بقية الرفاق وأنا سوف اتجول في السوق ولكنه لم يسترح إلى أن يتركني وحدى بدون ترجمة وإلا فهذه البلاد الإسلامية فيها أمن شامل للغريب وغيره وليس فيها من خوف على أحد ولحسن الحظ رأى أحد الرفاق شيخاً في هيئته شابا في سنه قال له بلغتهم هذا عربي كلمه بالعربية فسلم عليَّ وكلمته فوجدته يعرف العربية بالفعل ولكنه يحتاج إلى زيادة تمرين وهو يعرفها جيداً بحيث أنني إذا كلمته بالفصحى وتمهلت في النطق فهم مأأريد فذهب معي في جولة على السوق واستراح مني الرفاق على أكواب من الشاي المخلوط باللبن وهو من إنتاج بلادهم وعلى شئ من الحلوى تكفي مجرد رؤيته ورؤية الصبيان الذي يحضرونه بأيديهم لكي تصد مثلى عن النظر إليه فضلاً عن اكله.

وهذا أمر ليس محموداً مني وأمثالي ولكن الله سبحانه وتعالى قد اعطانا من النعم ما جعلنا نتعود على أن يكون ما نتناوله نظيفاً ومن أيدٍ نظيفة.

قال الشيخ واسمه شمس الإسلام أو شمس الحق نسيت أيهما الصحيح إنه تعلم العربية في مدرسة إسلامية تبعد من هنا عشرين ميلاً وأنه يعمل الآن في مدرسة تسمى المدرسة الرشيدية تبعد من هذا السوق مسافة عشرة أميال وأن فيها ثلثمائة طالب و١٥ مدرساً.

وتجولنا في السوق فرأيت أواني من الفخار المحلى الأحمر الجميل اللون فسألت عن ثمن الواحدة فأجاب البائع إنه (تاكا) واحد فلم اصدق إذ هذا يعني خمس ريال سعودي أي خمس أوانٍ بريال واحد وهو قد أضاع في صنعه من الوقت وبذل فيه من الجهد ما لو كان في بلادنا لاستحق عليه اضعاف ذلك من الأجر خمسين مرة.

ثلث ساعة في أربع ساعات :

أخذت المسافة بالطائرة من شيتا كونج إلى كوكس بازار من وقتي ثلث ساعة وأخذت العودة بالسيارة أربع ساعات شاقة وليس ذلك هو للفرق بين سير وسيلتي السير في الحالتين وإنما ذلك أيضًا لواقع الطريق نفسه فالطائرة تذهب رأسًا ومسافة ذلك (٥٠) كيلاً والسيارة تلف وتدور ولا طريق آخر مباشر بين البلدين لذلك يسير الطريق (١٦٠) كيلاً إضافة إلى حالة الطريق، وحالة السير فيه كما قدمت، مع العلم بأن السيارة التي نركبها وهي سيارة رابطة العالم الإسلامي هي جديدة ومريحة بالنسبة إلى السيارات الأخرى وسائقها الأخ (مير قاسم) يسرع بها مما حملني عدة مرات على أن اطلب منه عدم الاسراع خوفًا من الحوادث ومع ذلك فقد استمتعت بالسير مع هذه الطريق المتعبة أكثر من السير بالطائرة المريحة لأنني رأيت أشياء جديدة من طبيعة هذه المنطقة الريفية من بلاد البنغال المسلمة.

الوصول إلى شيتا كونج :

وصلناها في الساعة الثامنة إلا ربعًا وقصدنا منها الحي القديم فتجولنا في اسواقه دون وقوف وهو سئ الشوارع والطرق حوانيته ليست عامرة بالسلع ثم قصدنا القسم الحديث من المدينة شوارعه واسعة وفيه بعض الميادين المنسقة التي تتوسطها الحشائش والزهور ومعنى اسمها (شيتا كنج) اي : القرى السبع بالبنغالية زارها ابن بطوطة واسمها عنده (شات قم).

وكان نزولي في الفندق الأول في هذه المدينة واسمه فندق (اقراباد) وهو من فنادق الدرجة الأولى من حيث البناء والمظهر وإن كان يصدق عليه المثل القديم: (عزيز قوم ذل) فزواره قليل بعد انفصال البنغال عن باكستان وقلة الاعمال فيها.

وأول مشكلاته أن طلب الموظف أن يكون الدفع فيه بالنقود الأجنبية من دولار أو جنيه استرليني فقلت له: لقد صرفت في هذا الصباح نقودًا اعددتها لاصرفها في

(شيتا كونج) وسوف اغادر غداً ظهراً إلى (نيبال) فماذا اصنع بها؟ فقال: هذا لايعنيني أنا لا أقبل إلا نقداً اجنبياً صعباً فسألته كم الأجر؟ فقال: سبع عشرة جنيهاً استرلينية فاستكثر مرافقي الأخ (مير قاسم) المبلغ ولكنني كنت محتاجاً للراحة وهو مبلغ معتدل بالنسبة إلى مستوى الفندق في المدن الكبرى.

ولذلك ودعت الأخ (مير قاسم) وذهبت فوراً إلى الغرفة فوجدتها غرفة واسعة جيدة وسألت الخادم عن اتجاه القبلة فأجاب: إنها إلى هذه الجهة جهة الغرب.

ثم نزلت إلى المطعم لأنني محتاج إلى شاي نظيف فوجدت المطعم قد أعد على الطراز الأوروبي في كل شيء فاحضروا فرقة موسيقية فيها مغن ثقيل الظل سيء الغناء قبيح الصوت.

وكان العشاء من الكارى واللحم والارز طلبت منهم أن يكون خالياً من الفلفل فجاؤا به ناراً تأجج منه.

وبلغ ثمنه مع الشاي وعصير الأناناس (٥٣) تاكا أي أحد عشر ريالاً سعودياً.

يوم الأحد ١٧ محرم ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨/١٢/١٧م

العودة إلى داكا :

فارقت فندق (اقراباد) في مدينة شيتا كونج في الساعة السابعة والربع من هذا الصباح بعد أن تلكأ الموظف الموجود في الإدارة في إنجاز معاملتي لأنه كان صغير الوظيفة ولم يكن الموظف المسؤول قد حضر بعد وتعهد الأخ (مير قاسم) أن يمر بي على بعض الأشياء الهامة في مدينة شيتا كونج رغم ضيق الوقت لأتمكن من رؤيتها نهاراً وكان من أهم ما رأيته ذلك الميناء النهري العظيم الذي اشتهرت به هذه المدينة وفيه عدد من البواخر ومن أهم ما يلفت النظر فيه المصنع الكبير للاسمنت ومعدات نقل المواد الخام من البواخر إلى المصنع ثم نقل الاسمنت بعد ذلك للتصدير إلى اماكن أخرى في البلاد.

ومن الصعوبة العظيمة فيه أن الحجارة التي تحول إلى اسمنت تستورد من الخارج إذْ لاتوجد في هذه البلاد حجارة صالحة لصنع الاسمنت منها وإنما يستوردونه من بلاد بعيدة وتصور صعوبة استيراد الحجارة ثم هناك صعوبة

أخرى وهي استيراد الوقود وهو الفحم الحجري الذي يستورد من الهند وقد رأينا أكوامًا منه لهذا الغرض.

وفي الساعة الثامنة والربع صباحًا اقلعت الطائرة الصغيرة إلى داكا وهي من نوع الطائرتين اللتين ركبتهما أمس إن لم تكن إحداهما فهي تتسع لاربعين راكبًا وكان فيها في هذه المرة مضيفة ومضيف خلاف المرتين السابقتين إذ المضيفان كانا من الرجال.

وعندما اقلعت من المطار أعلن المكبر أن الطيران سيكون (٣٨) دقيقة وكان منظر مياه النهر العظيم التي جعلت من ميناء شيتا كونج ميناء عميقًا تختلط بمياه البحر الزرقاء في مساحات كبيرة بعدها رأينا المستنقعات والمياه الكثيرة في الأرض وهي المناظر المعتادة في هذه البلاد.

والحقيقة أن المرء يمكن أن يقول عندما يرى بلاد البنغال هذه من الطائرة ومن السيارة أن بين كل نهر ونهر نهْرًا وبين كل نهر ونهر مجرى، وبين كل مجرى ومجرى مستنقع وبين كل مستنقع ومستنقع حفرة مليئة بالمياه وبين ذلك كله خضرة شاملة، وبين الخضرة فقر وتخلف ولكنها دون فقر الهندوكيين الفلاحين القرويين في الهند ودون تخلفهم.

في داكا :

وفي مطار داكا كانت سيارة السفارة تنتظري فنقلتني إلى منزل الدكتور مستفيض الرحمن في جامعة داكا لأنه استاذ فيها فوجدته قد اجتمع لديه عدد من الاخوان والدعاة ومشجعي الدعوة والمثقفين ذوي الاتجاه الإسلامي ومنهم اساتذة في الجامعات وصحفيون وعلماء من علماء الدين.

وقد استمرت الجلسة معهم فترة طويلة من الوقت كان مدار الحديث فيها الأمور التي تشغل بال الجميع هنا وعلى رأسها مكافحة التنصير الذي استغل حاجة المسلمين وذلك بحث المسلمين القادرين في البلدان الإسلامية على مساعدة اخوانهم وجمع الأموال لذلك من عامة المسلمين.

وكان من بين الحاضرين: الاستاذ هلال الدين مدير المركز الإسلامي في بنجلاديش وكان استاذاً في كلية قائد اعظم في داكا.

بدر عالم بن محمد حنيف مهندس زراعي في شركة زراعة وهو الأمين العام للمركز الإسلامي في داكا والأمين العام لجمعية التبليغ الإسلامي.

مولانا احمد الله بن مولانا عبدالمجيد انصاري ناظم التنظيم لبعثة المساجد.

السيد أبو الحسين الباناغاري رئيس جمعية التبليغ الإسلامي وكان هندوكيا من البراهمة صنف عدة كتب في الإسلام وكتاباً عنوانه «لماذا لم أقبل النصرانية وقبلت الإسلام؟» ويعمل مرشداً للهندوكيين والبوذيين المؤلفة قلوبهم.

السيد محمد يونس الأمين العام لدار الطباعة الإسلامية

السيد نور الحق مدير فرع الاسعاف في البعثة الإسلامية

السيد محمد أبو جعفر امام في مسجد جامع

وفي الساعة الحادية عشرة والربع قبل الظهر كنت راجعاً إلى مطار داكا للسفر منه إلى كتمندو عاصمة مملكة نيبال وكان الأخ الدكتور مستفيض الرحمن جزاه الله خيراً معى فأعلم مكتب الشركة البنغالية المسماة (بيمان) وهي التي سأسافر معها إلى نيبال ولم اطلب منه ذلك ولم اكن أرغب فيه لإنني لست بحاجة إليه فحضر أحد موظفي الشركة وقدمنى في إنجاز الركوب على صف من المنتظرين الأوروبيين.

وهذا آلمني كثيراً إذْ ماذا يضيرني إذا انتظرت حتى يأتي دوري وماذا ينفعني إذا قدمت على غيري؟ إلاّ أن اشعر بأني قد اسأت إلى إسلامي بجعلي غير المسلمين من الأوروبيين وغيرهم يأخذون فكرة عن المسلمين بأنهم لايحبون العدل والانصاف الذي يقضى بأن يكون من يحضر قبل غيره له حق التقديم على من جاء بعده.

ثم ذهب الموظف معي حتى جاوزت الذي يأخذ رسوم المغادرة فأفهمه بأن جوازي سياسي وكنت استطيع أن افعل ذلك بنفسي ثم الححت عليه وعلى الدكتور مستفيض الرحمن بأن يعودا ويتركاني وشأني.

ودخلت إلى موظف الجمرك ولكن موظفًا صغيرًا رأى جوازي فأظهر العجب منه والإعجاب به وأخذ يذهب إلى الموظفين ويقول هذا عربي من السعودية فيتركون الذين بين أيديهم من المسافرين وينجزون معاملتي قبلهم وقد صحبني من الجمرك إلى موظف الصحة الذي يفحص البطاقات الصحية الصفراء للمسافرين المغادرين على خلاف العادة وحاولت أن ارد هذا الموظف ولكنه لم يتركني إلا في قاعة المسافرين في المطار وطلب مني آخر الأمر أن أعمل شيئًا لجعله يذهب إلى البلاد العربية فاعتذرت إليه بأنني لا استطيع ذلك.

هذا وقد لاحظت أن العربي في هذه البلاد الهندية يعظمونه ويكبرونه لأمرين احدهما ماله يرجون منه نوالا أو لمجرد تعظيم ذي المال والثاني: دينه أو على الاصح افتراض أن يكون متدينًا متمسكًا بالإسلام أكثر منهم، ولما قلت لأحد علمائهم : أرجو أن نكون عند حسن ظنهم بنا في التمسك بالدين قال: يكفي أن تكونوا في جوار الحبيب، فقلت له: شكرًا ولكن هذا لايكفي لأن المكان لايقدس أحدًا وإنما يفيد الإنسان عمله وما كسبت يداه.

وقامت الطائرة البنغالية في الساعة الواحدة إلا ربعًا ظهرًا بتوقيت داكا المتقدم ثلاث ساعات عن توقيت المملكة قاصدة (كتمندو) عاصمة مملكة نيبال وللمقال عن مملكة نيبال مقام في كتاب آخر أسميته «نيبال بلاد الجبال».

* * *

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون: ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣